أسود ١
١ أحمر

تعليم المتعلم

طريق التعلم

أسود ٢

٢ أحمر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ -٢٠١٨م

رقم الإيداع: ٢٠١٨\٧٣٦٢م

الترقيم الدولي: ٤-٧٩-٦٣٥٤-٩٧٧-٩٧٨

ISBN 978-977-6354-79-1

9 789776 354791 >

الدار العلمية للنشر والتجليد

فرع القاهرة : 01221653339 (002)

فرع جدة : 0534152170

فرع : جاكرتا ـ أندونيسيا

0878-8932-4793 (WA)

0878-8017-6606 (WA)

Email: abdallaelnady@gmail.com

أسود ٣ ٣ أحمر

تعليم المتعلم

طريق التعلم

تأليف

الإمام برهان الدين الزرنوجي

الدار العلمية للنشر والتجليد

٤ أحمر
أسود ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

٥ أحمر
أسود ٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نَحمدُهُ، ونَستَعِينُهُ، ونَستغفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفُسِنَا وَمِن سَيِّئاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضلَّ لَه، ومَن يُضلِلْ فَلا هَاديَ لَه، وأشهدُ أن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ ورَسولُهُ.

أمَّا بعدُ:

«فَإذا كُنتَ أيُّهَا الأَخُ ترَغبُ فِي سُمُوِّ القَدرِ، وَنَبَاهَةِ الذِّكرِ، وَارتِفَاعِ المَنزِلَةِ بَينَ الخَلقِ، وَتَلتَمِسُ عِزًّا لَا تَثلِمُهُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلا تَتَحَيَّفُهُ الدُّهُورُ وَالأَعوَامُ، وَهَيبَةً بِغَيرِ سُلطَانٍ، وَغِنًى بِلا مَالٍ، وَمَنعَةً بِغَيرِ سِلَاحٍ، وَعَلَاءً مِن غَيرِ عَشِيرَةٍ، وَأَعوَانًا بِغَيرِ أَجرٍ، وَجُندًا بِلا دِيوَانٍ وَفَرضٍ؛ فَعَلَيكَ بِالعِلمِ، فَاطلُبْهُ فِي مَظَانِّهِ، تَأتِكَ المَنَافِعُ عَفوًا، وَتَلقَ مَا يعتَمد مِنهَا صَفوًا، وَاجتَهِدْ فِي تَحصِيلِهِ لَيَالِيَ قَلائِلَ، ثُمَّ تَذَوَّقَ حَلَاوَةَ الكَرَامَةِ مُدَّةَ عُمرِكَ، وَتَمَتَّع بِلَذَّةِ الشَّرَفِ فِيهِ بَقِيَّةَ أَيَّامِكَ، وَاستَبقِ لِنَفسِكَ الذِّكرَ بِهِ بَعدَ وَفَاتِكَ»[(١)].

وَمِن هَذِهِ النَّصِيحَةِ الجَلِيلَةِ؛ نُقدِّم لكَ طالبَ العلمِ، كتابًا جليلَ القدرِ رفيعَ المنزلةِ فِي الحَثِّ عَلىٰ طَلَبِ العِلمِ وتَعلُّمِ آدَابِهِ، لِلإِمَامِ بُرهَانِ الدِّينِ الزُّرنُوجِيِّ، وَهُوَ «**تَعلِيم المُتَعلِّمِ طَرِيقَ التَّعَلُّم**»، وَهُوَ كِتَابٌ شَهِيرٌ جِدًّا، تكاثَرت نُسَخُهُ فِي بِلَادِ الشَّرقِ وَالغَربِ، تَضمَّنَ الكتابُ ثَلَاثَةَ عَشرَ فَصلًا، فِي طَبعَةٍ جَديدةٍ، مُخرَّجةِ

(١) «الحث علىٰ طلب العلم والاجتهاد في جمعه» لأبي هلال العسكري، (١/ ٤٣).

أسود ٦
٦ أحمر

الأَحَاديثِ، نَسأَلُ اللهَ القَبولَ[(١)].

(١) تم الاعتماد في هذه الطبعة علىٰ نسختين هما:
الأولىٰ: -وهي الأصل- بتحقيق: صلاح محمد الخيمي ونذير حمدان [الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، دمشق، (١٤٣٥هـ،٢٠١٤م)].
والثانية: بتحقيق: أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي [ط/ دار الصحابة، طبرق، ليبيا (١٤٣٤هـ،٢٠١٣م)].

ترجمة للمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

اسمُهُ: هُو بُرهانُ الدِّينِ الزُّرنُوجيُّ، نَسبة إلىٰ بَلَدة زُرنُوج، وَهِي مِن بِلادِ مَا وَراء النَّهرِ.

مَولدُه ووفاتُهُ وَمذهبُهُ: لَا يُعلم تَاريخُ مَولِدِه، ووفاتُهُ بعد عام (٥٩٣هـ) عَلىٰ الرَّاجِحِ، تَمذهَبَ بِمذهَبِ الأَحنافِ.

مشايخُهُ: مِن مشايخِهِ:

١- بُرهانُ الدِّينِ عَليُّ بنُ أبي بَكرٍ الفَرغَاني المَرغِينَاني، وهُو مِن كِبَارِ عُلماءِ الحَنفيَّةِ.

٢- فَخرُ الدِّينِ الحَسنُ بنُ منصورٍ الأُوزجَندِي الفَرغَاني، المَشهُورُ بِقاضِي خَانَه.

٣- رُكنُ الإِسلَامِ مُحمدُ بنُ أبي بَكرٍ المَعروفُ بِخَواهر زَادَه أو إِمامِ زَادَه، مُفتِي أَهلِ بُخَارَىٰ.

٤- حَمَّادُ بنُ إِبراهيمَ: فَقِيهٌ وَأَدِيبٌ وَمُتكلِّمٌ.

٥- فَخرُ الدِّين مَسعودُ بنُ الحُسينِ الكَاشَانِي.

مُصنفاتُهُ: هُو «تَعلِيمُ المُتعلِّمُ طَرِيقَ التَّعَلُّم» فَقَطْ.

هَذَا وَلَم تَذكُرِ المَصادِرُ الكَثِيرَ عَن حَياةِ المُؤلفِ - رَحِمَه الله وَأسكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ- .

---

(١) انظر: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» (١/ ٤٢٥)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٤٣)، «الجواهر المضية» (٢/ ٦٢٧)، وغيرها من المصادر.

نَصُّ الكِتَابِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِه نَستَعِينُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللّهِ العَلِي العَظِيمِ، وَباللّهِ التَّوفِيقُ(١).

الحَمدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالعِلمِ وَالعَمَلِ عَلَىٰ جَمِيعِ العَالَمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مُحمَّدٍ سَيد العَربِ وَالعَجمِ، وَعَلىٰ آلِهِ وَأصحَابِهِ يَنابيعِ العُلومِ وَالحِكَمِ.

وَبعدُ:

فَلمَّا رَأيتُ كَثيرًا مِن طُلَّابِ العِلمِ فِي زَمانِنَا يَجِدُّونَ وَإلىٰ العِلمِ لَا يَصِلُونَ، وَمِن مَنَافِعِهِ وَثَمَرَاتِهِ -وَهِيَ العَمَلُ بِهِ وَالنَّشرُ- يُحرَمُونَ، كَمَا أَنَّهُم أخطَئُوا طَرَائِقَه، وَتَركُوا شَرَائِطَهُ، وَكلُّ مَن أخطأ الطَّرِيقَ ضَلَّ، وَلَا يَنالُ المقصودَ قلَّ أو جَلَّ، أَرَدتُ وَأَحببتُ أَنْ أُبيِّنَ لَهُم طَرِيقَ التَّعَلُّمِ عَلَىٰ مَا رَأيتُ فِي الكُتُبِ، وَسَمِعتُ مِن أَسَاتِذَتِي أُولِي العِلمِ والحِكَمِ؛ رَجَاءَ الدُّعاءِ لِي مِن الرَّاغِبِينَ فِيه المُخلِصِينَ؛ بِالفَوزِ وَالخَلَاصِ فِي يَومِ الدِّينِ، بَعدمَا استَخرتُ اللهَ تَعالَىٰ فِيهِ، وَسَمَّيته: «تَعلِيمُ المُتعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعَلُّمِ».

وَجَعَلتُهُ فُصُولًا:

فَصلٌ: فِي مَاهِيَّةِ العِلمِ، وَالفِقهِ، وَفَضلِهِ.

فَصلٌ: فِي النِّيةِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ.

فَصلٌ: فِي اختِيارِ العِلمِ، وَالأُستاذِ، والشَّرِيكِ، وَالثَّبات.

---

(١) زيادة من نسخة أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي.

أسود ٩
٩ أحمر

فَصلٌ: فِي تَعظِيمِ العِلمِ وَأهلِهِ.

فَصلٌ: فِي الجِدِّ وَالمُواظَبَةِ وَالهِمَّةِ.

فَصلٌ: فِي بِدايةِ السَّبْقِ وَقَدرِهِ وَتَرتِيبِهِ.

فَصلٌ: فِي التَّوكُّلِ.

فَصلٌ: فِي وَقتِ التَّحصِيلِ.

فَصلٌ: فِي الشَّفقَةِ وَالنَّصِيحَةِ.

فَصلٌ: فِي الاستِفَادَةِ وَاقتِباسِ الأَدَبِ.

فَصلٌ: فِي الوَرعِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ.

فَصلٌ: فِيمَا يُورثُ الحِفظَ، وَفِيمَا يُورثُ النِّسيَانَ.

فَصلٌ: فِيمَا يجلبُ الرِّزقَ وَمَا يَمنعُهُ، وَمَا يزيدُ فِي العُمرِ وَمَا ينقصُ.

وَمَا تَوفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَليهِ تَوكَّلتُ وَإِليهِ أُنِيبُ.

فَصلٌ
فِي مَاهِيَّةِ العِلمِ، وَالفِقهِ، وَفَضلِهِ

قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ»(١).

اعلَمْ بِأَنَّهُ لَا يُفترَض عَلىٰ كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلمَةٍ طَلَبُ كُلِّ عِلمٍ، وَإِنَّما يُفترَضُ طَلَبُ عِلمِ الحَالِ، كَمَا يُقالُ: أَفضلُ العِلمِ عِلمُ الحَالِ، وَأَفضلُ العَملِ حِفظُ الحَالِ.

وَيُفترَضُ عَلَىٰ المُسلِمِ طَلبُ مَا يَقعُ لَه فِي حَالِهِ، فِي أَيِ حَالٍ كَانَ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِن الصَّلاةِ، فَيفترَضُ عَلَيهِ عِلمُ مَا يَقعُ لَه فِي صَلَاتِه بِقدرِ مَا يُؤدِّي بِهِ فرضَ الصَّلَاةِ، وَيَجبُ عَلَيه بِقَدرِ مَا يُؤدِّي بِهِ إقامةَ الوَاجِبِ؛ لأنَّ مَا يُتوسَّلُ بِهِ إِلَىٰ إِقامَةِ الفَرضِ يَكونُ فَرضًا، وَمَا يُتوسَّلُ بِهِ إِلَىٰ إِقَامَةِ الوَاجِبِ يَكونُ وَاجِبًا.

وَكَذَلِكَ فِي الصَّومِ، وَالزَّكَاةِ -إِن كَانَ لَه مَالٌ-، وَالحَجِّ -إِن وَجبَ عَلَيهِ-، وَكَذَلكَ فِي البُيُوعِ -إِن كَانَ يَتَّجِرُ مِنَ التِّجَارَةِ-.

قِيلَ لِمحمدِ بنِ الحَسنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَلَا تُصنِّفُ كِتابًا في الزُّهدِ؟ قَالَ: صَنَّفتُ كِتابًا فِي البُيُوعِ».

يَعنِي: الزَّاهِد مَن يَحترِزُ عَنِ الشُّبُهاتِ وَالمَكرُوهَاتِ فِي التِّجَارَاتِ، وَكَذَلكَ فِي سَائِرِ المُعَامَلاتِ وَالحِرَفِ.

وَكُلُّ مَن اشتَغَلَ بِشَيءٍ مِنهَا يُفترَضُ عَليهِ عِلمُ التَّحَرُّزِ عَنِ الحَرَامِ فِيهِ، وَكَذلِك يُفتَرَضُ عَلَيهِ عِلمُ أَحوَالِ القَلبِ؛ مِنَ التَّوكُّلِ وَالإِنَابَةِ وَالخَشيَةِ وَالرِّضَاءِ؛ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جَمِيعِ الأَحوَالِ.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر «المشكاة» (٢١٨).

وَشَرفُ العِلمِ لَا يَخفَىٰ عَلَىٰ أَحدٍ؛ إِذْ هُوَ المُخْتَصُّ بِالإِنسَانِيَّةِ؛ لأَنَّ جَمِيعَ الخِصَالِ سِوَىٰ العِلمِ، يَشترَكُ فِيهَا الإِنسَانُ وَسَائِرُ الحَيوانَاتِ؛ كَالشَّجَاعَةِ وَالجُرْأَةِ وَالقُوَّةِ وَالجُودِ وَالشَّفَقةِ وَغَيرِهَا، سِوَىٰ العِلمِ.

وَبِهِ أَظهَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فَضلَ آدمَ عليه السلام عَلَىٰ المَلائِكَةِ، وَأَمرهُم بِالسُّجُودِ لَهُ.

وَإِنَّمَا شَرَفُ العِلمِ بِكونِهِ وَسِيلَةً إِلَىٰ البِرِّ وَالتَّقوَىٰ، الَّذِي بِهِ يَستَحقُّ الكَرامةَ عِندَ اللهِ تَعَالىٰ، وَالسَّعَادَةَ الأَبدِيَّةَ.

كَمَا قِيلَ لمُحمدِ بنِ الحَسَنِ رحمه الله:

تَعَلَّمْ فَإِنَّ العِلمَ زَيْنٌ لأَهلِهِ ... وَفَضلٌ وَعنوانٌ لِكُلِّ المَحَامِدِ
وكُنْ مُستَفِيدًا كُلَّ يَومٍ زِيَادَةً ... مِنَ العِلمِ وَاسبَح فِي بُحُورِ الفَوَائِدِ
تَفَقَّه فَإِنَّ الفِقهَ أَفضَلُ قَائِدٍ ... إِلَى البِرِّ وَالتَّقوَى وَأَعدَلُ قَاصِدِ
هُوَ العَلَمُ الهَادِي إِلَى سُنَنِ الهُدَى ... هُوَ الحِصنُ يُنجِي مِن جَمِيعِ الشَّدَائِدِ
فَإِنَّ فَقِيهًا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا ... أَشَدُّ عَلَى الشَّيطَانِ مِن أَلفِ عَابِدِ

وَكَذَلكَ يُفترضُ العِلمُ فِي سَائِرِ الأَخلَاقِ، نَحو: الجُودِ، وَالبُخلِ، وَالجُبنِ، وَالجُرْأَةِ، وَالتَّكبُّرِ، وَالتَّواضُعِ، وَالفِقهِ، وَالإِسرَافِ، وَالتَّقتِيرِ، وَغَيرِهَا؛ فَإِنَّ الكِبرَ، وَالبُخلَ، وَالجُبنَ، وَالإِسرافَ حَرامٌ، وَلَا يُمكنُ التَّحَرُّزُ عَنهَا إِلَّا بِعلمِهَا، وَعِلمِ مَا يُضادُّهَا، فَيفتَرِضُ عَلَىٰ كُلِّ إِنسانٍ عِلمُهَا.

وَقَد صَنَّفَ الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ الشَّهِيدُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبو القَاسِمِ رحمه الله كِتابًا فِي «الأَخلاقِ»، وَنِعمَ مَا صَنَّفَ، فَيَجبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ حِفظُهَا.

وَأَمَّا حِفظُ مَا يَقعُ فِي الأَحَايِينِ، فَفَرضٌ عَلَىٰ سَبيلِ الكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهِ البَعضُ فِي بَلدَةٍ سَقطَ عَنِ البَاقِينَ، فَإِن لَم يَكُنْ فِي البَلْدةِ مَن يَقومُ بِهِ اشتَرَكُوا جَمِيعًا فِي المَأثَمِ.

وَيجبُ عَلَىٰ الإِمامِ أَن يَأمُرهُم بِذلك، وَيُجبَرَ أَهلَ البَلدَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

قِيلَ: إِنَّ عِلمَ مَا يَقعُ عَلَىٰ نَفسِهِ فِي جَمِيعِ الأَحوَالِ بِمَنزِلَةِ الطَّعَامِ الَّذِي لَا بُدَّ لِكلِّ وَاحِدٍ مِن ذَلِكَ. وَعِلمَ مَا يَقعُ فِي الأَحَايِينِ بِمَنزِلَةِ الدَّوَاءِ يُحتَاجُ إِلَيهِ فِي بَعضِ الأَوقَاتِ. وَعِلمَ النُّجُومِ بِمَنزِلَةِ المَرضِ، فَتَعلُّمُهُ حَرَامٌ؛ لأَنَّه يَضُرُّ وَلَا يَنفعُ، وَالهَرَبُ مِن قَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقَدرِهِ غَيرُ مُمكِنٍ.

فَينبَغِي لِكُلِّ مُسلِمٍ: أَن يَشتَغِلَ فِي جَمِيعِ أَوقَاتِهِ بِذِكرِ اللهِ، وَالدُّعاءِ، وَالتَّضَرُّعِ، وَقِرَاءَةِ القُرآنِ، وَالصَّدَقَاتِ، وَيَسأَلَ اللهَ تَعَالىٰ العَفوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالآخِرَةِ؛ لِيصُونَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ البَلَاءِ وَالآفَاتِ؛ فَإِنَّ مَن رُزِقَ الدُّعَاءَ لَم يُحرمِ الإِجَابَةَ، فَإِنْ كَانَ البَلَاءُ مُقدَّرًا يُصِبْهُ لَا مَحَالَةَ، وَلكِن يُيَسِّرُهُ اللهُ تَعَالىٰ عَلَيهِ وَيَرزُقُهُ الصَّبرَ بِبركَةِ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا تَعلَّمَ مِنَ النُّجُومِ قَدرَ مَا يَعرِفُ بِهِ القِبلَةَ، وَأَوقَاتِ الصَّلَاةِ، فَيجُوزُ ذَلِكَ.

وَأمَّا تَعلُّمُ عِلمِ الطِّبِّ فَيجُوزُ؛ لأَنَّه سَببٌ مِنَ الأَسبابِ، فَيجُوزُ تَعَلُّمُهُ كَسَائِرِ الأَسبَابِ، وَقَد تَدَاوىٰ النَّبِيُّ ﷺ.

وَحُكِيَ عَنِ الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللهُ **أَنَّه قَالَ**: «العِلمُ عِلمَانِ: عِلمُ الفِقهِ لِلأَديَانِ، وَعِلمُ الطِّبِّ لِلأَبدَانِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلكَ بُلْغَةُ مَجلِسٍ».

وَأَمَّا تَفسِيرُ العِلمِ: فَهُو صِفَةٌ يَتجَلَّىٰ بِهَا المَذكُورُ لِمَن قَامَت بِهِ.

وَالفِقهُ: مَعرِفَةُ دَقَائِقِ العِلمِ مَع نَوعِ عِلَاجٍ.

قَالَ أَبُو حَنِيفَة رَحِمَهُ اللهُ: «الفِقْهُ مَعرِفَةُ النَّفسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيهَا».

وَقَالَ: «مَا العِلمُ إِلَّا لِلعَمَلِ بِهِ، وَالعَمَلُ بِهِ تَركُ العَاجِلِ لِلآجِلِ».

فَيَنبغِي لِلإِنسَانِ: أَلَّا يَغفلَ عَن نَفسِهِ، وَمَا يَنفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا، فِي أُولَاهَا وَأُخرَاهَا، وَيَستَجلِبُ مَا يَنفعُهَا وَيَجتَنِبُ عَمَّا يَضرُّها؛ كَي لَا يَكونَ عِلمُهُ وَعقلُهُ حُجةً عَلَيه، فَتَزدَادُ

أسود ١٣
١٣ أحمر

عُقوبتُهُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِن سَخطِهِ وَعِقابِهِ!

وَقَد وَردَ فِي مَناقِبِ العِلمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتٌ وَأَخبَارٌ صَحِيحَةٌ مَشهُورَةٌ، لَم نَشتَغِلْ بِذِكرِهَا كَي لَا يَطولَ الكِتَابُ.

فَصلٌ
فِي النِّيةِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ

ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النيَّةِ فِي زَمنِ تَعلُّمِ العِلمِ؛ إِذ النِّيَّةُ هِيَ الأَصلُ فِي جَميعِ الأَفعَالِ؛ لِقولِهِ عليه السلام: «**إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ**». حَدِيثٌ صَحِيحٌ(١).

كَم مِن عَملٍ يُتَصوَّرُ بِصُورَةِ أَعمَالِ الدُّنيَا، ثُمَّ يَصيرُ بِحُسنِ النِّيةِ مِن أَعمَالِ الآخِرَةِ، وَكَم مِن عَمَلٍ يُتَصوَّرُ بِصُورَةِ أَعمَالِ الآخرَةِ، ثُم يَصيرُ مِن أَعمَالِ الدُّنيَا بِسُوءِ النِّيَّةِ.

وَينبَغِي أَن يَنوِيَ المُتَعَلِّمُ بِطلَبِ العِلمِ رِضَاءَ اللهِ، وَالدَّارَ الآخرةِ، وَإِزالَةَ الجَهلِ عَن نفسِهِ، وَعَن سَائِرِ الجُهَّالِ، وَإِحياءَ الدِّينِ، وَإِبقاءَ الإِسلَامِ؛ فَإِنَّ بَقاءَ الإِسلَامِ بِالعِلمِ.

وَلَا يَصِحُّ الزُّهدُ وَالتَّقوَىٰ مَعَ الجَهلِ.

وَأَنشدَ الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ بُرهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ «الهِدَايَة» لِبعضِهِم:

فَسَادٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ ... وَأَكبَرُ مِنهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكُ
هُمَا فِتنَةٌ فِي العَالَمِينَ عَظِيمَةٌ ... لِمَن بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

وَيَنوِي بِهِ الشُّكرَ عَلَىٰ نِعمَةِ العَقلِ، وَصِحَّةِ البدَنِ، وَلَا يَنوِي بِهِ إِقبَالَ النَّاسِ عَلَيهِ، وَلَا استِجلَابَ حُطَامِ الدُّنيَا، وَالكرَامَةَ عند السُّلطَانِ، وَغيرِهِ.

وَقَالَ **مُحمَّدُ بنِ الحَسَنِ**: «لَو كَانَ النَّاسُ كُلُّهُم عَبِيدِي؛ لَأَعتَقتُهُم وَتَبرأتُ عَن وَلَائِهِم، وَمَن وَجَدَ لَذَّةَ العِلمِ وَالعَمَلِ بِهِ؛ قَلَّمَا يَرغَبُ فِيمَا عِندَ النَّاسِ».

أَنشَدنَا الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ الأُستَاذُ قِوَامُ الدِّين، حَمَّادُ بنُ إِبراهِيمَ بنِ إِسمَاعِيلَ الصَّفارِيُّ الأَنصَارِيُّ إِملاءً لأَبِي حَنِيفَةَ رحمه الله:

---

(١) أخرجه البخاري (١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أسود ١٥
١٥ أحمر

مَـــن طَلَـــبَ العِلـــمَ لِلمَعَـــادِ فَـــازَ بِفَـــضلٍ مِـــنَ الرَّشَـــادِ
فَيَـــا لَخُـــسرَانِ طَالِبِيـــهِ لِنَيـــلِ فَـــضلٍ مِـــنَ العِبَـــادِ

اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا طَلبَ الحياةَ لِلأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ، وَتَنفِيذَ الحَقِّ، وَإعزَازَ الدِّينِ لَا لِنفسِهِ وَهواهُ، فَيجُوزُ ذَلك بِقدرِ مَا يُقيمُ بِهِ الأمرَ بِالمعروفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ.

وَيَنبغِي لِطَالِبِ العِلمِ أن يَتفكَّرَ فِي ذَلكَ، فَإِنَّه يَتعلَّمُ العِلمَ بِجَهدٍ كَثِيرٍ، فَلَا يَصرِفُهُ إِلىٰ الدُّنيَا الحَقِيرَةِ القَلِيلَةِ الفَانِيةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«اتَّقُوا الدُّنيَا، فَوَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهَا لَأَسحَرُ مِن هَارُوت وَمَارُوت»**(١).

هِيَ الدُّنيَـــا أَقَـــلُّ مِـــنَ القَلِيـــلِ وَعَاشِـــقُهَا أَذَلُّ مِـــنَ الذَّلِيـــلِ
تَـــصُمُّ بِـــسِحرِهَا قَومًـــا وَتُعـــمِي فَهُـــم مُتَحَـــيِّرُونَ بِـــلَا دَلِيـــلِ

وَيَنبَغِي لِأَهلِ العِلمِ أَلَّا يُذِلَّ نَفسَهُ بِالطَّمعِ فِي غَيرِ المَطْمَعِ، وَيَتحرَّزَ عَمَّا فِيهِ مَذَلَّةُ العِلمِ وَأهلِهِ، وَيكونَ مُتواضِعًا، وَالتَّواضعُ بَينَ التَّكبُّرِ وَالمَذلَّةِ، وَالعِفَّةُ كَذَلكَ، وَيُعرفُ ذَلِكَ فِي كِتابِ «الأَخلَاق».

أَنشَدَنِي الشَّيخُ الإِمَامُ الأُستاذُ رُكنُ الدِّينِ المَعرُوفُ بِالأَدِيبِ المُختَارِ رَحِمَهُ اللهُ شِعرًا لِنفسِهِ:

إِنَّ التَّوَاضُـــعَ مِـــن خِـــصَالِ المُـــتَّقِي وَبِـــهِ التَّـــقِيُّ إِلَى المَعَـــالِي يَـــرتَقِي
وَمِنَ العَجَائِبِ عُجبُ مَن هُوَ جَاهِلٌ فِي حَـــالِهِ أَهُـــوَ الـــسَّعِيدُ أَمِ الـــشَّقِي
أَمْ كَيـــفَ يُختَـــمُ عُمـــرُهُ أَو رُوحُـــهُ يَـــومَ النَّـــوَى مُتَـــسَفِّلٌ أَو مُـــرتَقِي

(١) «الحكيم» عن عبد الله بن بسر المازلي، انظر «ضعيف الجامع» (١١٥).

وَالكِبرِيَـــاءُ لِرَبِّنَـــا صِـــفَةٌ بِـــهِ مَخْـــصُوصَةٌ فَتَجَنَّبَنْهَـــا وَاتَّـــقِي

قَالَ أَبُو حَنيفَةَ -رَحمَةُ اللهِ عَليهِ- لأَصحَابِهِ: «عَظِّمُوا عَمَائِمَكُم، وَوَسِّعُوا أَكمَامَكُم».

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلكَ لِئَلَّا يُسْتَخَفَّ بِالعِلمِ وَأَهلِهِ.

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ أَن يُحصِّلَ كِتابَ «الوَصِيَّة» التِي كَتَبهَا أَبُو حَنيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ لِيُوسفَ بنِ خَالدٍ السَّمتيِّ -رَحمَةُ اللهِ عَليهِ- عَندِ الرُّجُوعِ إِلَىٰ أَهلِهِ وَعيالِهِ، يَجِدُهُ مَن يَطلُبهُ.

وَقَد كَانَ أُستَاذُنَا شَيخُ الإِسلَامِ بُرهانُ الدِّينِ وَالأَئمةِ، عليُّ بنُ أَبِي بكرٍ -قَدَّس اللهُ روحَهُ العَزِيز-، أَمَرنِي بِكتَابتِهِ عِندَ الرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِي، وَكَتبته، وَلَا بُدَّ للمَدَرِّسِ وَالمُفتِي فِي مُعَامَلاتِ النَّاسِ مِنهَا.

فَصلٌ
فِي اختِيَار العِلمِ وَالأُستَاذِ وَالشَّرِيك، وَالثَّبَات عَلَيه

يَنبَغِي: لِطَالِبِ العِلمِ أن يَختَارَ مِن كُلِّ عِلمٍ أَحسَنَهُ، وَمَا يَحتَاجُ إِليهِ فِي أَمرِ دِينِهِ فِي الحَالِ، ثُمَّ مَا يَحتَاجُ إِليهِ فِي المَآلِ.

وَيُقدِّمُ عِلمَ التَّوحِيدِ وَالمَعرِفَةِ، وَيعرِفُ اللهَ تَعَالىٰ بِالدَّلِيلِ؛ فَإنَّ إِيمانَ المُقَلِّدِ وَإِن كَانَ صَحِيحًا عِندَنَا لَكِن يكونُ آثِمًا بتَركِ الاستِدلَالِ[١].

وَيَختارُ العَتيقَ دُونَ المُحدَثَاتِ، قَالُوا: عَلَيكُم بِالعَتِيقِ وَإِيَّاكُم وَالمُحدَثَاتِ.

وَإِيَّاكَ أن تَشتَغِلَ بِهذَا الجِدَالِ الَّذِي ظَهَرَ بَعد انقِرَاضِ الأَكَابِرِ مِنَ العُلَمَاءِ؛ فَإِنَّه يُبعِدُ عَنِ الفِقهِ وَيُضيِّعُ العُمُرَ وَيُورثُ الوَحشَةَ وَالعَدَاوَةَ، وَهُو مِن أَشرَاطِ السَّاعَةِ وَارتِفَاعِ العِلمِ وَالفِقهِ، كَذَا وَرَدَ فِي الحَدِيث[٢].

وَأَمَّا اختِيَارُ الأُستاذِ: فَيَنبَغِي أَن يَختَارَ الأَعلَمَ، وَالأَورَعَ، وَالأَسَنَّ.

كَمَا اختَارَ أَبُو حَنيفةَ رَحِمَهُ اللهُ حَمَّادَ بنَ سُليمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، بَعدَ التَّأَمُّلِ وَالتَّفكِيرِ.

قَالَ: «وَجَدتُهُ شَيخًا وَقُورًا، حَلِيمًا، صَبُورًا فِي الأُمُورِ».

وَقَالَ: «ثَبَتُّ عِندَ حَمَّادِ بنِ سُليمَانَ فَنَبَتُّ».

وَقَالَ: «سَمِعتُ حَكِيمًا مِن حُكَماءِ سَمَرقَندَ قَالَ: إِنَّ وَاحِدًا مِن طَلَبَةِ العِلمِ شَاوَرَ مَعِي فِي طَلَبِ العِلمِ، وَكَانَ قَد عَزَمَ عَلَى الذِّهَابِ إِلَىٰ بُخَارَىٰ لِطَلَبِ العِلمِ».

وَهَكَذَا يَنبَغِي: أَن يُشَاوِرَ فِي كُلِّ أَمرٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالىٰ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ بِالمُشَاوَرَةِ فِي

---

(١) يعني: أن معرفة الدليل واجب علىٰ كل مستطيع.

(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الأُمورِ، وَلَم يَكُنْ أَحَدٌ أَفطَنَ مِنهُ، وَمَع ذَلك أُمِرَ بِالمُشَاوَرَةِ، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصحَابَهُ فِي جَمِيعِ الأُمورِ حَتَّىٰ حَوائِجَ البَيتِ.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا هَلَكَ امرُؤ عَن مَشُورَةٍ».

قِيلَ: رَجُلٌ، وَنِصفُ رَجُلٍ، وَلَا شَيْءَ. فَالرَّجُلُ: مَن لَهُ رَأيٌ صَائِبٌ وَيُشَاوِرُ العُقَلَاءَ. وَنِصفُ رَجُلٍ: مَن لَه رَأيٌ صَائِبٌ لَكِن لَا يُشَاوِرُ، أَو يُشَاوِرُ وَلَكِن لَا رَأيَ لَه. وَلَا شَيءَ: مَن لَا رَأيَ لَهُ وَلَا يُشَاوِرُ.

وَقَالَ جَعفَرٌ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِسُفيَانَ الثَّورِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «شَاوِرْ فِي أَمرِكَ الَّذِينَ يَخشَونَ اللهَ تَعَالَىٰ».

وَطَلَبُ العِلمِ مِن أَعلَىٰ الأُمُورِ وَأَصعَبُهَا، فَكَانَتِ المُشَاوَرَةُ فِيهِ أَهمَّ وَأَوجَبَ.

قَالَ الحَكِيمُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا ذَهبتَ إِلَىٰ بُخَارَىٰ فَلَا تَعجَلْ فِي الاختِلافِ إِلَىٰ الأَئِمَّةِ، وَامكُثْ شَهرَينِ حَتَّىٰ تَتَأَمَّلَ وَتَختَارَ أُستَاذًا، فَإِنَّكَ إِن ذَهَبتَ إِلَىٰ عَالِمٍ وَبَدَأتَ بِالسَّبقِ عِندَهُ رُبَّمَا لَا يُعجِبُكَ دَرسُهُ فَتَترُكَهُ فَتَذهَبُ إِلَىٰ آخَرَ، فَلَا يُبَارَكُ لَكَ فِي التَّعَلُّمِ».

فَتَأَمَّلْ فِي شَهرَينِ فِي اختِيَارِ الأُستَاذِ، وَشَاوِرْ حَتَّىٰ لَا تَحتَاجَ إِلَىٰ تَركِهِ وَالإِعرَاضِ عَنهُ فَتَثبُتَ عِندَه؛ حَتَّىٰ يَكونَ تَعَلُّمُكَ مُبَارَكًا وَتَنتَفِعَ بِعِلْمِكَ كَثِيرًا.

وَاعلَمْ بِأَنَّ الصَّبرَ وَالثَّبَاتَ أَصلٌ كَبِيرٌ فِي جَمِيعِ الأُمورِ وَلَكِنَّهُ عَزِيزٌ.

كَمَا قِيلَ فِي الرِّجَالِ:

لِكُلٍّ إِلَى شَأوِ العُلَا حَرَكَاتُ ... وَلَكِن عَزِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتُ

وَقِيلَ: الشَّجَاعَةُ صَبرُ سَاعَةٍ.

فَيَنبَغِي: أَن يَثبتَ وَيَصبِرَ عَلَىٰ أُستاذٍ وَعَلىٰ كِتَابٍ حَتَّىٰ لَا يَترُكَهُ أَبتَرَ، وَعَلَىٰ فَنٍّ حَتَّىٰ لَا يَشتَغِلَ بِفَنٍّ آخَرَ قَبلَ أَن يُتقِنَ الأَوَّلَ، وَعَلَىٰ بَلَدٍ حَتَّىٰ لَا يَنتَقِلَ إِلَىٰ بَلَدٍ آخَرَ مِن غَيرِ ضَرُورَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلكَ كَلَّهُ يُفَرِّقُ الأُمُورَ، وَيُشغِلُ القَلبَ، وَيُضَيِّعُ الأَوقَاتِ، وَيُؤذِي المُعَلِّمَ.

وَيَنبَغِي: أَن يَصبِرَ عَمَّا تُرِيدُ نَفسُهُ وَهَوَاهُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الهَـوَى لَهُـوَ الهَـوَانُ بِعَينِهِ ... وَصَرِيعُ كُلِّ هَـوًى صَرِيعُ هَـوَانِ

وَيَصبِرُ عَلَىٰ المِحَنِ وَالبَلِيَّاتِ.

قِيلَ: خَزَائِنُ المِنَنِ عَلَىٰ قَنَاطِيرِ المِحَنِ.

وَأُنشِدتُ، وَقِيلَ: إِنَّه لِعَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ:

أَلَا لَـن تَنَـالَ العِلـمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَـأُنبِيكَ عَـن مَجْمُوعِهَـا بِبَيَـانِ

ذَكَاءٌ وَحِـرصٌ وَاصـطِبَارٌ وَبُلغَـةٌ ... وَإِرشَـادُ أُسـتَاذٍ وَطُـولُ زَمَـانِ

وَأَمَّا اختِيَارُ الشَّرِيكِ: فَيَنبَغِي أَن يَختَارَ المُجِدَّ، وَالوَرِعَ، وَصَاحِبَ الطَّبعِ المُستَقِيمِ، وَالمُتفَهِّمَ، وَيفِرَّ مِنَ الكَسلَانِ وَالمُعَطِّلِ وَالمِكثَارِ وَالمُفسِدِ وَالفَتَّانِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

عَنِ المَرءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَن قَرِينِهِ ... فَـكُلُّ قَـرِينٍ بِالمُقَـارِنِ يَقتَـدِي

إِذَا كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَنِّبـهُ سُرعَـةً ... وَإِن كَانَ ذَا خَـيرٍ فَقَارِنـهُ تَهتَـدِي

وَأُنشِدتُ:

لَا تَـصحَب الكَـسلَانَ فِي حَالَاتِـهِ ... كَـم صَـالِحٍ بِفَـسَادِ آخَـرَ يَفـسُدُ

عَـدوَى البَلِيـدِ إِلَى الجَلِيـدِ سَرِيعَـةٌ ... كَالجَمـرِ يُوضَـعُ فِي الرَّمَـادِ فَيَخمُـدُ

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ فِطْرَةِ الإِسلَامِ، إِلَّا أَنَّ أَبَوَيْهِ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ**»(١). الحَدِيثَ.

وَيُقَالُ فِي الحِكمَةِ بِالفَارِسِيَّةِ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ.

أسود ٢٠
٢٠ أحمر

باربـــد بـــدتر بـــوداز مـــا ربـــد   حــــــق ذات بـــــاك الله الـــــصمد
يـــا ربـــد ارتـــد ســـوي جحـــيم   يـــا رنيكـــو كيرتـــا يـــا بـــانعيم(١)

وَقِيلَ:

إن كُنـــتَ تَـــبغِي العِلـــمَ وَأَهلَـــهُ   أو شَـــاهِدًا يُخـــبِرُ عَـــن غَائِـــبِ
فَـــــاعتَبِرِ الأَرضَ بِأَســــــمَائِهَا   وَاعتَـــبِرِ الـــصَّاحِبَ بِالـــصَّاحِبِ

---

(١) وترجمتها: المُصاحبُ السوءُ أسوأ من الحيَّة وأكثر منها ضَررًا.
انظر: «تعليم المتعلم طريق التعلم» [ت: صلاح محمد الخيمي، ونذير حمدان].

فَصلٌ
فِي تَعظِيمِ العِلمِ وَأهلِه

اعْلَمْ بِأَنَّ طَالِبَ العَلمِ لَا يَنالُ العِلمَ وَلَا يَنتفِعُ بِهِ؛ إِلَّا بِتَعظِيمِ العِلمِ وَأَهلِهِ، وَتَعظِيمِ الأُستَاذِ وَتَوقِيرِه.

قِيلَ: مَا وَصَلَ مَن وَصَلَ إِلَّا بِالحُرمَةِ، وَمَا سَقطَ مَن سَقَطَ إِلَّا بِتَركِ الحُرمَةِ.

وَقِيلَ: الحُرمَةُ خَيرٌ مِنَ الطَّاعَةِ.

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الإِنسَانَ لَا يَكفُرُ بِالمَعصِيَةِ، وَإِنَّمَا يَكفُرُ بِاستِخفَافِهَا وَبِتَركِ الحُرمَةِ؟!

وَمِن تَعظِيمِ العِلمِ: تَعظِيمُ المُعَلِّمِ.

قَالَ عَلَيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «أَنَا عَبدُ مَن عَلَّمَنِي حَرفًا وَاحِدًا، إِنْ شَاءَ بَاعَ، وَإِنْ شَاءَ استَرَقَّ، وَإِنْ شَاءَ أَعتَقَ».

وَقَد أُنشِدتُ فِي ذَلكَ شِعْرًا:

رَأَيتُ أَحَقَّ الحَقِّ حَقَّ المُعَلِّمِ ... وَأَوجَبَهُ حِفظًا عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمِ
لَقَد حُقَّ أَن يُهدَىٰ إِلَيهِ كَرَامَةً ... لِتَعلِيمِ حَرفٍ وَاحِدٍ أَلفُ دِرهَمِ

فَإِنَّ مَن عَلَّمَكَ حَرفًا وَاحِدًا مِمَّا تَحتَاجُ إِلَيهِ فِي الدِّينِ فَهُو أَبُوكَ فِي الدِّينِ.

وَكَانَ أُستَاذُنَا الشَّيخُ الإِمَامُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **يَقُولُ**: قَالَ مَشَايِخُنَا: «مَن أَرَادَ أَن يَكونَ ابنُهُ عَالِمًا يَنبَغِي أَن يُرَاعِيَ الغُرَبَاءَ مِنَ الفُقَهَاءِ، وَيُكرِمَهُم وَيُعَظِّمَهُمْ وَيُعطِيَهُمْ شَيئًا، فَإِن لَم يَكُن ابنُهُ عَالِمًا يَكُونُ حَفِيدُهُ عَالِمًا».

وَمِن تَوقِيرِ المُعَلِّمِ: أَلَّا يَمشِيَ أَمَامَهُ، وَلَا يَجلِسَ مَكَانَهُ، وَلَا يَبتَدِئَ الكَلَامَ عِندَهُ إِلَّا بِإِذنِهِ، وَلَا يُكثِرَ الكَلَامَ عِندَهُ، وَلَا يَسأَلَ شَيئًا عِندَ مَلَالَتِهِ، وَيُرَاعِيَ الوَقتَ، وَلَا يَدُقَّ

البَابَ بَلْ يَصبِرُ حَتَّىٰ يَخرُجَ.

فَالحَاصِلُ: أَنَّه يَطلُبُ رِضَاهُ، وَيَجتَنِبُ سَخَطَهُ، وَيَمتَثِلُ أَمرَهُ فِي غَيرِ مَعصِيَةٍ للهِ تَعَالىٰ؛ فَإِنَّه لَا طَاعَةَ لِلمَخلُوقِ فِي مَعصِيةِ الخَالِقِ[(١)].

كَمَّا قَالَ النَّبِي ﷺ: «**إِنَّ أَشَرَّ النَّاسِ مَن يُذهِبُ دِينَهَ لِدُنيَا غيرِه، وَبِمَعصِيَةِ الخَالِقِ**»[(٢)].

وَمِن تَوقِيرِهِ: تَوقِيرُ أَولَادِهِ، وَمَن يَتَعَلَّقُ بِهِ.

وَكَانَ أُستَاذُنَا شَيخُ الإِسلَامِ بُرهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ «الهِدَايَة» رَحِمَهُ اللهُ يَحكِي: «أَنَّ وَاحِدًا مِن أَكَابِرِ أَئِمَّةِ بُخَارَىٰ كَان يَجلِسُ مَجلِسَ الدَّرسِ، وَكَانَ يَقُومُ فِي خَلَالِ الدَّرسِ أَحيَانًا، فَسَأَلُوا عَنهُ، فَقَالَ: إِنَّ ابنَ أُستَاذِي يَلعَبُ مَعَ الصِّبيَانِ فِي السِّكَّةِ، وَيَجِيءُ أَحيَانًا إِلَىٰ بَابِ المَسجِدِ، فَإِذَا رَأَيتُهُ أَقُومُ لَهُ تَعظِيمًا لِأُستَاذِي».

وَالقَاضِي الإِمَامُ فَخرُ الدِّينِ الأَرسَابَندِيُّ كَانَ رَئِيسَ الأَئِمَّةِ فِي مَرو، وَكَانَ السُّلطَانُ يَحتَرِمُهُ غَايَةَ الاحتِرَامِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا وَجَدتُ هَذَا المَنصِبَ بِخِدمَةِ الأُستَاذِ، فَإِنِّي كُنتُ أَخدِمُ الأُستَاذَ القَاضِي الإِمَامَ أَبَا زَيدٍ الدَّبُّوسِيَّ، وَكُنتُ أَخدِمُهُ وَأَطبُخ[(٣)] طَعَامَهُ، وَلَا آكُلُ مِنهُ شَيئًا.

وَالشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ شَمسُ الأَئِمَّةِ الحُلوَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ قَد كَانَ يَخرُجُ مِن بُخَارَىٰ وَيَسكُنُ فِي بَعضِ القُرَىٰ أَيَّامًا بِحَادِثَةٍ وَقَعَت لَهُ، وَقَد زَارَهُ تَلَامِذَتُهُ غَيرَ الشَّيخِ الإِمَامِ القَاضِي أَبِي بَكرٍ الزَّرنَجرِيِّ -رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ-، فَقَالَ لَه حِينَ لَقِيهُ: لِمَاذَا لَم تَزُرنِي؟ قَالَ: كُنتُ مَشغُولًا بِخِدمَةِ الوَالِدَةِ. قَالَ: تُرزَقُ العُمُرَ، وَلَا تُرزَقُ الدَّرسَ. وَكَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، انظر «الضعيفة» (١٩١٥).
(٣) زيادة من نسخة أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي.

كَانَ يَسكُنُ فِي أَكثَرِ أَوقَاتِهِ فِي القُرَىٰ وَلَم يَنتَظِم لَهُ الدَّرسُ.

فَمَن تَأذَّىٰ مِنهُ أُستَاذُهُ يُحرَمُ بَرَكَةُ العِلمِ، وَلَا يَنتَفِعُ بِالعِلمِ إِلَّا قَلِيلًا.

إِنَّ المُعَلِّـمَ وَالطَّبِيـبَ كِلَيهِمَـا ... لَا يَنـصَحَانِ إِذَا هُمَـا لَـم يُكرَمَـا

فَاصـبِرْ لِدَائِـكَ إِن أَهَنـتَ طَبِيبَـهُ ... وَاقنَـعْ بِجَهلِـكَ إِن جَفَـوتَ المُعَلِّمَـا

وحُكِيَ: «أَنَّ الخَلِيفَةَ هَارون الرَّشِيد بَعَثَ ابنَهُ إِلَىٰ الأَصمَعِيِّ لِيُعَلِّمَهُ العِلمَ وَالأَدَبَ، فَرَآهُ يومًا يَتوضَّأُ وَيَغسِلُ رِجْلَهُ، وَابنُ الخَلِيفَةِ يَصُبُّ المَاءَ عَلَىٰ رِجلِهِ، فَعَاتَبَ الخَلِيفَةُ الأَصمَعِيَّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثتُهُ إِلَيكَ لِتُعَلِّمَهُ العِلمَ وَتُؤَدِّبَهُ، فَلِمَاذَا لَم تَأمُرْهُ بِأَن يَصُبَّ المَاءَ بِإِحدَىٰ يَدَيهِ، وَيَغسِلَ بِالأُخرَىٰ رِجلَكَ؟!»

وَمِن تَعظِيمِ العِلمِ: تَعظِيمُ الكِتَابِ، فَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ أَلَّا يَأخُذَ الكِتَابَ إِلَّا بِطَهَارَةٍ.

وَحُكِيَ عَنِ الشَّيخِ الإِمَامِ شَمسِ الأَئِمَّةِ الحُلْوَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا نِلتُ هَذَا العِلمَ بِالتَّعظِيمِ، فَإِنِّي مَا أَخذَتُ الكَاغِدَ[1] إِلَّا بِطَهَارَةٍ».

وَالشَّيخُ الإِمَامُ شَمسُ الأَئِمَّةِ السَّرخسِيُّ كَانَ مَبطُونًا[2] فِي لَيلَةٍ، وَكَانَ يُكَرِّرُ[3] فِي لَيلَةٍ، فَتَوَضَّأَ فِي تِلكَ اللَّيلَةِ سَبعَ عَشرَةَ مَرَّةً؛ لأَنَّهُ كَانَ لَا يُكَرِّرُ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ؛ وَهَذَا لِأَنَّ العِلمَ نُورٌ، وَالوُضُوءُ نُورٌ؛ فَيَزدَادُ نُورُ العِلمِ بِهِ.

وَمِنَ التَّعظِيمِ الوَاجِبِ: أَلَّا يَمُدَّ الرَّجُلَ إِلَىٰ الكِتَابِ، وَيَضَعُ كُتُبَ التَّفسِيرِ فَوقَ سَائِرِ الكُتُبِ، وَلَا يَضَعُ عَلَىٰ الكِتَابِ شَيئًا آخَرَ مِن مِحبَرَةٍ وَغَيرِهَا.

وَكَانَ أُستَاذُنَا الشَّيخُ بُرهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ **يَحكِي عَن شَيخٍ مِن مَشَايِخِنَا**: «أَنَّ فَقِيهًا كَانَ

(١) أي: الورق.
(٢) أي: يشتكي بطنه.
(٣) أي: يذاكر العلم بالإعادة والمراجعة.

وَضعَ المِحبَرَة عَلَىٰ الكِتَابِ، فَقَالَ لَهُ بِالفَارِسِيَّة: برنيابي»[١].

وَكَانَ أُستَاذُنَا القَاضِي الإِمَامُ الأَجَلُّ فَخرُ الدِّينِ، المَعرُوفُ بِقَاضِي خَان يَقُولُ: «إِنْ لَم يُرِدْ بِذَلِكَ الاستِخفَافَ فَلَا بَأسَ بِذَلِكَ، وَالأَوْلَىٰ أَن يَحتَرِزَ عَنهُ».

وَمِنَ التَّعظِيمِ: أَن يُجَوِّدَ كِتَابَةَ الكِتَابِ، وَلَا يُقَرمِطَ[٢]، وَيَترُكَ الحَاشِيَةَ إِلَّا عِندَ الضَّرُورَة.

وَرَأَىٰ أَبُو حَنِيفَة رَحِمَهُ اللَّهُ **كَاتِبًا يُقَرمِطُ فِي الكِتَابَةِ فَقَالَ:** «لَا تُقَرمِطْ خَطَّكَ، إِنْ عِشتَ تَندَم، وَإِن مِتَّ تُشتَم».

يَعنِي: إِذَا شِختَ وَضَعُفَ نُورُ بَصَرِكَ نَدِمتَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَحُكِيَ عَنِ الشَّيخِ الإِمَامِ مَجدِ الدِّينِ السَّرخَكتِي رَحِمَهُ اللَّهُ **أَنَّهُ قَالَ:** «مَا قَرمَطنَا نَدِمنَا، وَمَا انتَخَبنَا نَدِمنَا، وَمَا لَم نُقَابِلْ نَدِمنَا».

وَيَنبَغِي: أَن يَكُونَ تَقطِيعُ الكِتَابِ مُربَّعًا لَا مُدوَّرًا؛ فَإِنَّهُ تَقطِيعُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ أَيسَرُ عَلَىٰ الرَّفعِ وَالوَضعِ وَالمُطَالَعَةِ.

وَيَنبَغِي: أَلَّا يَكُونَ فِي الكِتَابَةِ شَيءٌ مِنَ الحُمرَةِ؛ فَإِنَّهُ مِن صَنِيعِ الفَلَاسِفَةِ لَا صَنِيعُ السَّلَفِ. وَمِن مَشَايِخِنَا مَن كَرِهَ استِعمَالَ المُرَكَّبِ الأَحمَرِ.

وَمَن تَعظِيمِ العِلمِ: تَعظِيمُ الشُّركَاءِ فِي طَلَبِ العِلمِ وَالدَّرسِ، وَمَن يُتَعَلَّمْ مِنهُ. وَالتَّمَلُّقُ مَذمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِ العِلمِ؛ فَإِنَّهُ يَنبَغِي أَن يَتَمَلَّقَ لِأُستَاذِهِ وَشُرَكَائِهِ لِيَستَفِيدَ مِنهُم.

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَن يَستَمِعَ العِلمَ وَالحِكمَةَ بِالتَّعظِيمِ وَالحُرمَةِ، وَإِن سَمِعَ مَسأَلَةً وَاحِدَةً وَحِكمَةً وَاحِدَةً أَلفَ مَرَّةٍ.

---

(١) أي: لا تجد النفع من عملك.

(٢) أي: يدقق الكتابة ويصغرها.

وَقِيلَ: مَن لَم يَكُنْ تَعظِيمُهُ بَعدَ أَلفِ مَرَّةٍ كَتَعظِيمِهِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ فَلَيسَ بِأَهلٍ لِلعِلمِ.

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَلَّا يَختَارَ نَوعَ العِلمِ بِنَفسِهِ، بَل يُفَوِّضُ أَمرَهُ إِلَىٰ الأُستَاذِ؛ فَإِنَّ الأُستَاذَ قَد حَصَلَ لَهُ التَّجَارِبُ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ أَعرَفُ مَا يَنبَغِي لِكُلِّ وَاحِدٍ وَمَا يَلِيقُ بِطَبِيعَتِهِ.

وَكَانَ الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ الأُستَاذُ شَيخُ الإِسلَامِ بُرهانُ الحَقِّ وَالدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ **يَقُولُ**: «كَانَ طَلَبَةُ العِلمِ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُم فِي التَّعَلُّمِ إِلَىٰ أُستاذِهِم، وَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَىٰ مَقصُودِهِم وَمُرَادِهِم، وَالآنَ يَختَارُونَ بِأَنفُسِهِم، فَلَا يَحصُلُ مَقصُودُهُم مِنَ العِلمِ وَالفِقهِ؛ لِأَنَّهُم لَا يَدرُونَ أَيُّ العِلَمِ أَنفَعُ بِهِم، وَأَيُّ عِلمٍ يَلِيقُ بِطَبِيعَتِهِم».

وَكَانَ يُحكَىٰ أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ إِسمَاعِيلَ البُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ يَبدَأُ بِكِتَابِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ مُحمَّد ابنِ الحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: «اذْهَبْ وَتَعَلَّم عِلمَ الحَدِيثِ». لَمَّا رَأَىٰ أَنَّ ذَلِكَ العِلمَ أَلْيَقُ بِطَبعِهِ، فَطَلَبَ عِلمَ الحَدِيثِ فَصَارَ فِيهِ مُقَدَّمًا عَلَىٰ جَمِيعِ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ(١).

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَلَّا يَجلِسَ قَرِيبًا مِنَ الأُستَاذِ عِندَ السَّبقِ بِغَيرِ ضَرُورَةٍ، بَل يَنبَغِي أَن يَكُونَ بَينَهُ وَبَينَ الأُستَاذِ قَدرَ القَوسِ؛ فَإِنَّهُ أَقرَبُ إِلَىٰ التَّعظِيمِ.

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَن يَحتَرِزَ عَنِ الأَخلَاقِ الذَّمِيمَةِ، فَإِنَّهَا كِلَابٌ مَعنَوِيَّةٌ، وَقَد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدخُلُ المَلَائِكَةُ بَيتًا فِيهِ كَلبٌ أَو صُورَةٌ**»(٢). وَإِنَّمَا يَتَعَلَّمُ الإِنسَانُ بِوَاسِطَةِ المَلَكِ.

وَالأَخلَاقُ الذَّمِيمَةُ تُعرَفُ فِي كِتَابِ «الأَخلَاقِ»، وَكِتَابُنَا هَذَا لَا يَحتَمِلُ بَيَانَهَا،

(١) هذه الحكاية غير صحيحة لسببين؛ الأول: لأن محمد بن الحسن رَحِمَهُ اللهُ توفي عام (١٨٩هـ)، والبخاري رَحِمَهُ اللهُ ولد عام (١٩٤هـ)؛ أي بعد وفاته بخمس سنوات. والثاني: لأن البخاري رَحِمَهُ اللهُ دخل بغداد بعد عام (٢١٠هـ)؛ أي: بعد أكثر من إحدىٰ وعشرين سنة من وفاة ابن الحسن.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

خُصُوصًا عَنِ التَّكَبُّرِ، وَمَعَ التَّكَبُّرِ لَا يَحصُلُ العِلمُ.

قِيلَ: العِلمُ حَربٌ لِلمُتَعَالِي؛ كَالسَّيلِ حَربٌ لِلمَكَانِ العَالِي.

وَقِيلَ:

بِجِدٍّ لَا بِجَدٍّ كُلُّ مَجدٍ ... فَهَل جَدٌّ بِلَا جِدٍّ بِمجدِي

فَكَم عَبدٍ يَقُومُ مَقَامَ حُرٍّ ... وَكَم حُرٍّ يَقُومُ مَقَامَ عَبدِي

فَصلٌ
فِي الجِدِّ، وَالمُواظَبَةِ، وَالهِمَّةِ

ثُمَّ لَا بُدَّ مِنَ الجِدِّ وَالمُواظَبَةِ وَالمُلَازَمَةِ لِطَالِبِ العِلمِ، وَإِلَيهِ الإِشَارَةُ فِي القُرآنِ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم:١٢].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩].

قِيلَ: مَن طَلَبَ شَيئًا وَجَدَّ وَجَدَ، وَمَن قَرَعَ البَابَ وَلَجَّ وَلَجَ(١).

وَقِيلَ: بِقَدرِ مَا تَتَعَنَّىٰ تَنَالُ مَا تَتَمَنَّىٰ.

وَقِيلَ: يُحتَاجُ فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ إِلَىٰ جِدِّ ثَلَاثَةٌ: المُتَعَلِّمُ، وَالأُستَاذُ، وَالأَبُ -إِنَّ كَانَ فِي الأَحيَاءِ-.

أَنشَدَنِي الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ الأُستَاذُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الجِدُّ يُدنِي كُلَّ أَمرٍ شَاسِعٍ ... وَالجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ
وَأَحَقُّ خَلقِ اللهِ تَعَالَى بِالهَمِّ امرُؤٌ ... ذُو هِمَّةٍ يُبلَى بِعَيشٍ ضَيِّقِ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى القَضَاءِ وَحُكمِهِ ... بُؤسُ اللَّبِيبِ وَطِيبِ عَيشِ الأَحمَقِ
لَكِن مَن رُزِقَ الحِجَا حُرِمَ الغِنَى ... ضِدَّانِ يَفتَرِقَانِ أَيَّ تَفَرُّقِ

وَأُنشِدتُ لِغَيرِهِ:

تَمَنَّيتَ أَنْ تُمْسِي فَقِيهًا مُنَاظِرًا ... بِغَيرِ عَنَاءٍ وَالجُنُونُ فُنُونُ
وَلَيْسَ اكْتِسَابُ المَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ ... تَحَمَّلُهَا فَالعِلمُ كَيفَ يَكُونُ

(١) لج: ألح وشدد. ولج: دخل.

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

وَلَـمْ أَرَ فِي عُيُـوبِ النَّـاسِ عَيبًـا ... كَـنَقصِ القَـادِرِينَ عَلَى التَّمَـامِ

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِن سَهَرِ اللَّيَالِي، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

بِقَـدْرِ الكَـدِّ تُكْتَـسَبُ المَعَـالِي ... وَمَـنْ طَلَـبَ العُـلَا سَـهِرَ اللَّيَـالِي

تَـرُومُ العِـزَّ ثُـمَّ تَنَـامُ لَيْـلًا ... يَغُـوصُ البَحْـرَ مَـن طَلَـبَ الـلَآلِي

عُلُـوُّ القَـدرِ بِـالهِمَمِ العَـوَالِي ... وَعِـزُّ المَـرءِ فِي سَـهَرِ اللَّيَـالِي

تَرَكْـتُ النَّـومَ رَبِّي فِي اللَّيَـالِي ... لِأَجـلِ رِضَـاكَ يَـا مَـولَى المَـوَالِي

وَمَـن رَامَ العُـلَا مِـن غَـيرِ كَـدٍّ ... أَضَـاعَ العُمـرَ فِي طَلَـبِ المُحَـالِ

فَـوَفِّقنِي إِلَى تَحـصِيلِ عِلـمٍ ... وَبَلِّغـنِي إِلَى أَقـصَى المَعَـالِي

قِيلَ: اتَّخِذِ اللَّيلَ جَمَلًا تُدرِك بِهِ أَملًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ(١) وَقَدِ اتَّفَقَ لِي نَظمٌ فِي هَذَا المَعنَى:

مَـن شَـاءَ أَن يَحتَـوِيَ آمَـالَهُ جُمَـلًا ... فَلْيَتَّخِـذْ لَيلَـهُ فِي دَركِهَـا جَمَـلَا

أَقلِـلْ طَعَامَـكَ كَي تَحظَـى بِـهِ سَـهَرًا ... إِنْ شِـئتَ يَـا صَـاحِبِي أَن تَبلُغَ الكُمَـلَا

وَقِيلَ: مَن أَسهَرَ نَفسَهُ بِاللَّيلِ؛ فَقَد فَرَّحَ قَلبَهُ بِالنَّهَارِ.

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِنَ المُواظَبَةِ عَلَىٰ الدَّرسِ وَالتَّكرَارِ فِي أَوَّلِ اللَّيلِ وَآخِرِهِ، فَإِنَّ مَا بَينَ العِشَاءَينِ وَوَقتِ السَّحَرِ، وَقتٌ مُبَارَكٌ.

وَقِيلَ:

يَـا طَالِـبَ العِلـمِ بَـاشِرِ الـوَرَعَا ... وَجَنِّـبِ النَّـومَ وَاتـرُكِ الـشِّبَعَا

دَوَامٌ عَلَى الدَّرسِ لَا تُفَارِقـهُ ... فَـإِنَّ العِلـمَ بِـالدَّرسِ قَـامَ وَارتَفَعَـا

(١) يريد نفسه.

وَيَغتَنِمُ أيَّامَ الحَدَاثِةِ وَعُنفُوانِ الشَّبَابِ، كَمَا قِيلَ:

بِقَدرِ الكَدِّ تُعطَى مَا تَرُومُ ... فَمَن رَامَ المُنَى لَيلًا يَقُومُ

وَأَيَّامَ الحَدَاثَةِ فَاغتَنِمهَا ... أَلَا إِنَّ الحَدَاثَةَ لَا تَدُومُ

وَلَا يَجْهَد نَفسَهُ جهدًا يُضعِفُ النَّفسَ؛ حَتَّىٰ يَنقَطِعَ عَنِ العَمَلِ، بَل يَستَعمِلُ الرِّفقَ فِي ذَلك، وَالرِّفقُ أَصلٌ عَظِيمٌ فِي جَمِيعِ الأَشيَاءِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّ هَذَا الدِّين مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبغِض نَفسَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ المُنْبَتَّ لَا أَرضًا قَطعَ وَلَا ظَهرًا أَبقَىٰ**»(١).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**نَفسُكَ مَطِيَّتُكَ فَارفُقْ بِهَا**»(٢).

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِنَ الهِمَّةِ العَالِيَةِ فِي العِلمِ؛ فَإِنَّ المَرءَ يَطِيرُ بِهِمَّتِهِ كَالطَّيرِ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ.

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ:

عَلَىٰ قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِي العَزَائِمُ ... وَتَأتِي عَلَىٰ قَدرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

وَتَعظُمُ فِي عَينِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصغُرُ فِي عَينِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

زيادة في (ج) (ص٤٣):

احْرِصْ عَلَىٰ كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغ الكَمَلَا ... لَا تَقِف عِندَ عِلمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا

فَالنَّحْلُ نَاحِقٌ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ... إِيَّاكَ بِالحَقِّ هَذَا الشَّمْعَ والعَسَلَا

الشَّمْعُ فِيهِ ضِيَاءٌ فِي ضِيَاءَتِهِ ... وَالشَّهْدُ فِيهِ شِفَاءٌ يَشفِي العِلَلَا

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٨٨٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، انظر «الضعيفة» (٢٤٨٠).

(٢) لم أجده.

يَا طَالِبَ العِلمِ أَنتَ فَارِسٌ وَغيرَكَ رَاجِلٌ، وَعِلمُكَ حَارِسٌ، يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ عَرَايَا، وَأَنتَ بِنُورِ العِلمِ لَابِسٌ، وَيُوضَعُ لِكُلِّ شَيءٍ مِنبَرٌ، وَالعَالِمُ تَحتَ العَرشِ جَالِسٌ.

يَــا طَالِــبَ العِلــمِ الــزَمِ الــوَرَعَا   وَاهجُــرْ النَّــومَ وَاتــرُكِ الــشِّبَعَا

يَا طَالِبَ العِلمِ: فَاجتَهِدْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ؛ فَإِنَّ تَحصِيلَ العِلمِ بِالجَهدِ وَالتَّكرَارِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيءٍ آفَةً، وَآفَةُ العِلمِ تَركُ الجَهدِ وَالتَّكرَارِ.

وَالرَّأسُ فِي تَحصِيلِ الأَشيَاءِ: الجِدُّ وَالهِمَّةُ، فَمَن كَانَت هِمَّتُهُ حِفظَ جَمِيعِ كُتُبِ مُحمَّدِ ابنِ الحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ، وَاقتَرَنَ بِذَلِكَ الجِدُّ وَالمُوَاظَبَةُ؛ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحفَظُ أَكثَرَهَا أَو نِصفَهَا. فَأَمَّا إِذَا كَانَت لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ وَلَم يَكُن لَهُ جِدٌّ، أَوْ كَانَ لَهُ جِدٌّ وَلَم تَكُن لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ؛ لَا يَحصُلُ لَهُ العِلمُ إِلَّا قَلِيلٌ.

وَذَكَرَ الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ الأُستَاذُ رَضِيُّ الدِّينِ النَّيسَابُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **فِي كِتَابِ «مَكَارِمِ الأَخلَاقِ»**: «أَنَّ ذَا القَرنَينِ لَمَّا أَرَادَ أَن يُسَافِرَ لِيَستَولِيَ عَلَىٰ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ، شَاوَرَ الحُكَمَاءَ، وَقَالَ: كَيفَ أُسَافِرُ لِهَذَا القَدرِ مِنَ المُلكِ؟ فَإِنَّ الدُّنيَا قَلِيلَةٌ فَانِيَةٌ، وَمُلكُ الدُّنيَا أَمرٌ حَقِيرٌ، فَلَيسَ هَذَا مِن عُلُوِّ الهِمَّةِ. فَقَالَ الحُكَمَاءُ: سَافِرْ لِيَحصُلَ لَكَ مُلكُ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ. فَقَالَ: هَذَا حَسَنٌ».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَيَكرَهُ سَفسَافَهَا**»(١).

وَقِيلَ:

فَــلَا تَعجَــلْ بِــأَمرِكَ وَاسْــتَدِمْهُ   فَمَــا صَــلَّ عَــصَاكَ كَمُــستَدِيمِ(٢)

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٣١) (٢٨٩٤) من حديث الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، انظر «الصحيحة» (١٦٢٧).

(٢) صَلَّىٰ عصاه: ليَّنها بالنار ليسهل تقويمها، والمعنىٰ: أن خير وسائل تقويم الفاسد وإصلاحه =

٣١ أحمر
أسود ٣١

قِيلَ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ لِأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ: «كُنتَ بَلِيدًا أَخرَجتكَ المُوَاظَبَةُ، وَإِيَّاكَ وَالكَسَلَ؛ فَإِنَّهُ شُؤمٌ وَآفَةٌ عَظِيمَةٌ».

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو نَصرٍ الصَّفَّارِيُّ الأَنصَارِيُّ:

يَا نَفسُ يَا نَفسُ لَا تُرخِي عَنِ العَمَلِ ... فِي البِرِّ وَالعَدلِ وَالإِحسَانِ فِي مَهَلِ

فَكُلُّ ذِي عَمَلٍ فِي الخَيرِ مُغتَبِطٌ ... وَفِي بَلَاءٍ وَشُؤمٍ كُلُّ ذِي كَسَلِ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدِ اتَّفَقَ لِي فِي هَذَا المَعنَىٰ:

دَعِي نَفْسِي التَّكَاسُلَ والتَّوَانِي ... وَإِلَّا فَاثبُتِي فِي ذَا الهَوَانِ

فَلَمْ أَرَ لِلكُسَالَى الحَظُّ تَحظَى ... سِوَى نَدَمٍ وَحِرْمَانِ الأَمَانِي

وَقِيلَ:

كَم مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَدَمٍ ... جَمٍّ تَوَلَّدَ لِلإِنْسَانِ مِنْ كَسَلِ

إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي البَحْثِ عَنْ شُبَهٍ ... مَا عَلِمْتَ وَمَا قَدْ شَكَّ مِن كَسَلِ

وَقَد قِيلَ: يَحصُلُ الكَسَلُ مِن قِلَّةِ التَّأَمُّلِ فِي مَنَاقِبِ العِلمِ وَفَضَائِلِهِ؛ فَيَنبَغِي لِلمُتَعَلِّمِ أَنْ يُتعِبَ نَفسَهُ عَلَىٰ التَّحصِيلِ وَالجِدِّ وَالمُوَاظَبَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي فَضَائِلِ العِلمِ، فَإِنَّ العِلمَ يَبقَىٰ بِبقَاءِ المَعلُومَاتِ، وَالمَالَ يَفنَىٰ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ:

رَضِينَا قِسْمَةَ الجَبَّارِ فِينَا ... لَنَا عِلْمٌ وَلِلأَعدَاءِ مَالُ

وَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ ... وَإِنَّ العِلمَ يَبقَى لَا يُزَالُ

وَالعِلمُ النَّافِعُ يَحصُلُ بِهِ حُسنُ الذِّكرِ، وَيَبقَىٰ ذَلِكَ بَعدَ وَفَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ حَيَاةٌ بَاقِيَةٌ أَبَدِيَّةٌ.

وَأَنشَدَ الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ ظَهِيرُ الدِّينِ مُفتِي الأَئِمَّةِ، الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ، المَعرُوفُ بِالمِرغِينَانِي -رَحِمَه اللهُ رَحمَةً وَاسِعَةً-:

= الاستمرار والمواظبة وعدم الانقطاع.

أسود ٣٢
٣٢ أحمر

الجَـاهِلُونَ مَـوتَى قَبـلَ مَـوتِهِمُ ... وَالعَـالِمُونَ وَإن مَـاتُوا فَأَحيَـاءُ

وَأَنشَدَنَا شَيخُ الإِسلَامِ بُرهَانُ الدِّينِ:

وَفِي الجَهلِ قَبلَ المَوتِ مُوْتٌ لِأَهلِهِ ... فَأَجسَامُهُم قَبلَ القُبُورِ قُبُورُ

وَإن امرَأً لَم يَحيِ بِالعِلمِ مَيِّتٌ ... فَلَيسَ لَهُ حِينَ النُّشُورِ نُشُورُ

وَقِيلَ:

ذُو العِلمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ ... وَأَوْصَالُهُ تَحتَ التُّرَابِ رَمِيمُ

وَذُو الجَهْلِ مَيتٌ وَهُوَ يَمشِي عَلَى الثَّرَى ... يُظَنُّ مِنَ الأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمُ

وَقِيلَ:

حَيَاةُ القَلبِ عِلمٌ فَاغتَنِمهُ ... وَمَوْتُ القَلبِ جهلٌ فَاجتَنِبْهُ

وَقِيلَ:

العِلمُ تَاجٌ لِلفَتَى ... وَالعَقلُ طَوْقٌ مِنْ ذَهَبْ

وَالعِلمُ نُورٌ يُلتَظَى ... وَالجَهلُ نَارٌ تَلتَهِبْ

وَأَنشَدَنِي شَيخُ الإِسلَامِ بُرهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذُو العِلمِ أَعلَى رُتبَةً فِي المَرَاتِبِ ... وَمَن دُونَهُ عِزُّ العُلَا فِي المَوَاكِبِ

فَذُو العِلمِ يَبقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفًا ... وَذُو الجَهلِ بَعدَ المَوْتِ فِي التَّيَارِبِ

فَهَيهَاتَ لَا يَرجُو مَدَاهُ مَنِ ارتَقَى ... رُقِيَّ وَلِيِّ المُلكِ وَالِي الكَتَائِبِ

سَأُملِي عَلَيكُم بَعضَ مَا فِيهِ فَاسمَعُوا ... فَبِي حَصرٌ عَن ذِكرِ كُلِّ المَنَاقِبِ

هُوَ النُّورُ كُلَّ النُّورِ يَهدِي عَنِ العَمَى ... وَذُو الجَهلِ مَرَّ الدَّهرِ بَينَ الغَيَاهِبِ

هُوَ الذُّروَةُ الشَّمَّاءُ تَحمِي مَنِ التَجَا ... إِلَيهَا وَيَمشِي آمِنًا فِي النَّوَائِبِ

بِهِ يُنتَجَى وَالنَّاسُ فِي غَفلَاتِهِم ... بِهِ يُرتَجَى وَالرُّوحُ بَينَ التَّرَائِبِ

بِـهِ يَـشفَعُ الإنـسَانُ مَـن رَاحَ عَاصِـيًا   إِلَى دَركِ النِّـــيرَانِ شَرِّ العَوَاقِـــبِ
فَمَـــن رَامَـــهُ رَامَ المَرَاتِـــبَ كُلَّهَـــا   وَمَــن حَــازَهُ قَــد حَــازَ كُلَّ المَطَالِــبِ
هُوَ المَنصِبُ الـكُلِّيُّ يَـا صَـاحِبَ الحِجَـا   إِذَا نِلتَـــهُ هَـــوِّن بِفَـــوتِ المَنَاصِـــبِ
فَــإِن فَاتَــكَ الدُّنيَــا وَطِيــبُ نَعِيمِهَــا   فَغَمِّــضْ فَــإِنَّ العِلــمَ خَــيرُ المَوَاهِــبُ

وَأُنشِدتُ لِبَعضِهِم:

إِذَا مَــــا اعــــتَزَّ ذُو عِلـــمٍ بِعِلـــمٍ   فَعِلــــمُ الفِقــــهِ أَوْلَى بِــــاعتِزَازِ
فَكَــم طِيــبٍ يَفُــوحُ وَلَا كَمِــسكٍ   وَكَــم طَـــيرٍ يَطِـــيرُ وَلَا كَبَـــازِي

وَأُنشِدتُ أَيضًا لِبَعضِهِم:

الفِقــــهُ أَنفَــــسُ شَيْءٍ أَنــــتَ دَاخِــــرَهُ   مَـن يـدرِسُ الفِقـهَ لَـم تَـدْرُسْ مَفَـاخِرَهُ
فَاجهَـدْ لِنَفـسِكَ مَـا أَصـبَحتَ تَجهَلُـهُ   فَــــأَوَّلُ العِلــــمِ إِقبَــــالٌ وَآخِــــرَهُ

وَكَفَىٰ بِلَذَّةِ العِلمِ وَالفِقهِ وَالفَهمِ دَاعِيًا وَبَاعِثًا لِلعَاقِلِ.

وَقَد يَتَوَلَّدُ الكَسَلُ مِن كَثرَةِ البَلغَمِ وَالرُّطُوبَاتِ، وَطَرِيقُ تَقلِيلِهِ، تَقلِيلُ الطَّعَامِ.

قِيلَ: اتَّفَقَ سَبعُونَ نَبِيًّا -عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَلَىٰ أَنَّ كَثرَةَ النِّسيَانِ مِن كَثرَةِ البَلغَمِ، وَكَثرَةَ البَلغَمِ مِن كَثرةِ شُربِ المَاءِ، وَكَثرَةَ شُربِ المَاءِ مِن كَثرَةِ الأَكلِ، وَالخُبزُ اليَابِسُ يَقطَعُ البَلغَمَ، وَكَذَلِكَ أَكلُ الزَّبِيبِ عَلَىٰ الرِّيقِ، وَلَا يُكثِرَ مِنهُ حَتَّىٰ لَا يَحتَاجَ إِلَىٰ شُربِ المَاءِ فَيَزِيدُ البَلغَمُ.

وَالسِّوَاكُ يُقَلِّلُ البَلغَمَ، وَيَزِيدُ فِي الحِفظِ وَالفَصَاحَةِ، فَإِنَّهُ سُنَّةٌ سَنِيَّةٌ، يَزِيدُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ القُرآنِ، وَكَذَا القَيءُ يُقَلِّلُ البَلغَمَ وَالرُّطُوبَاتِ.

وَطَرِيقُ تَقلِيلِ الأَكلِ: التَّأَمُّلُ فِي مَنَافِعِ قِلَّةِ الأَكلِ، وَهِيَ: الصِّحَّةُ، وَالعِفَّةُ، وَالإِيثَارُ.

وَقِيلَ فِي ذَمِّ كَثرَةِ الأَكلِ:

أسود ٣٤
٣٤ أحمر

فَعَـــارٌ ثُـــمَّ عَارٌ ثُـــمَّ عَارٌ شَـــقَاءُ المَـــرءِ مِـــن أَجـــلِ الطَّعَـــامِ

وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ثَلَاثَةٌ يُبغِضُهُمُ اللهُ مِن غَيرِ جُرْمٍ: الأَكُولُ، وَالبَخِيلُ، وَالمُتَكَبِّرُ»[(١)].

وَالتَّأَمُّلُ فِي مَضَارِّ كَثرَةِ الأَكلِ، وَهِيَ: الأَمرَاضُ، وَكَلَالَةُ الطَّبعِ.

وَقِيلَ: البِطْنَةُ تُذْهِبُ الفِطنَةَ.

وَحُكِيَ عَن جَالينوس الحَكِيمِ أَنَّه قَالَ: «الرُّمَّانُ نَافِعٌ كُلُّهُ، وَالسَّمَكُ ضَارٌّ كُلُّهُ».

وَقِيلَ: السَّمَكُ خَيرٌ مِن كَثِيرِ الرُّمَّانِ.

وَفِيهِ أَيضًا: إِتلَافُ المَالِ، وَالأَكلُ فَوقَ الشِّبَعِ ضَرَرٌ مَحضٌ، وَيَستَحِقُّ بِهِ العِقَابَ فِي دَارِ الآخِرَةِ. وَالأَكُولُ بَغِيضٌ فِي القُلُوبِ.

وَطَرِيقُ تَقلِيلِ الأَكلِ: أَنْ يَأكُلَ الأَطعِمَةَ الدَّسِمَةَ، وَيُقَدِّمَ فِي الأَكلِ الأَلطَفَ وَالأَشهَىٰ، وَلَا يَأكُل مَعَ الجِيعَانِ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ فِي كَثرَةِ الأَكلِ، بِأَنْ يَتَقَوَّىٰ بِهِ عَلَىٰ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالأَعمَالِ الشَّاقَّةِ، فَلَهُ ذَٰلِكَ.

(١) أخرجه بنحوه ابن حبان في «صحيحه» (٨/ ١٣٨) (٣٣٥٠)، انظر «التعليقات الحسان» (٣٣٣٩).

فَصلٌ
فِي بدَايَةِ السَّبْقِ وَقَدرِهِ وَتَرتِيبهِ

كَانَ أُستَاذُنَا الشَّيخُ الإِمَامُ بُرهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ يُوقِفُ بِدَايَةِ السَّبْقِ عَلَىٰ يَومِ الأَربِعَاءِ، وَكَانَ يَروِي فِي ذَلَكَ حَدِيثًا وَيَستَدِلُ بِهِ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن شَيْءٍ بُدِئَ يَومَ الأَربعَاءِ إِلَّا وَقَد تَمَّ**»(١).

وَهَكَذَا كَانَ يَفعَلُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ يَروِي هَذَا الحَدِيثَ المَذكُورَ بِإِسنَادِهِ عَن أُستَاذِهِ الشَّيخِ الإِمَامِ الأَجَلِّ قوامِ الدِّينِ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الرَّشِيدِ -رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ-.

وَسَمِعتُ مِمَّن أَثِقُ بِهِ: أَنَّ الشَّيخَ الإِمَامَ يُوسُفَ الهَمَدَانِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَانَ يُوقِفُ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الخَيرِ عَلَىٰ يَومِ الأَربعَاءِ. وَهَذَا ثَابِتٌ؛ لِأَنَّ يَومَ الأَربعَاءِ يَومٌ خُلِقَ فِيهِ النُّورُ(٢)، وَهُوَ يَومُ نَحسٍ فِي حَقِّ الكُفَّارِ. فَيَكُونُ مُبَارَكًا لِلمُؤمِنِينَ.

وَأَمَّا قَدرُ السَّبقِ فِي الابتِدَاءِ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَحكِي عَنِ الشَّيخِ القَاضِي الإِمَامِ عُمَرَ ابنِ أَبِي بَكرٍ الزَّرنَجرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّه قَالَ: قَالَ مَشَايِخُنَا -رَحِمَهُمُ اللهُ-: يَنبَغِي أَن يَكُونَ قَدرُ السَّبقِ لِلمُبتَدِئِ قَدرَ مَا يُمكِنُ ضَبطُهُ بِالإِعَادَةِ مَرَّتَينِ، وَيَزِيدُ كُلَّ يَومٍ كَلِمَةً حَتَّىٰ إِنَّهُ وَإِن طَالَ وَكَثُرَ يُمكِنُ ضَبطُهُ بِالإِعَادَةِ مَرَّتَينِ، وَيَزِيدُ بِالرِّفقِ وَالتَّدرِيجِ، فَأَمَّا إِذَا طَالَ السَّبقُ فِي الابتِدَاءِ وَاحتَاجَ إِلَىٰ الإِعَادَةِ عَشرَ مَرَّاتٍ فَهُوَ فِي الانتِهَاءِ أَيضًا يَكُونُ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَعتَادُ ذَلِكَ، وَلَا يَترُكُ تِلكَ الإِعَادَةِ إِلَّا بِجَهدٍ كَثِيرٍ.

---

(١) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» رقم الحديث (٩٠٠): لم أقف له علىٰ أصل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقد قِيلَ: السَّبْقُ حَرفٌ، وَالتَّكرَارُ أَلفٌ(١).

وَيَنبَغِي أَن يَبتَدِئَ بِشَيءٍ يَكُونُ أَقرَب إِلَىٰ فَهمِهِ.

وَكَانَ الشَّيخُ الإِمَامُ الأُستَاذُ شَرَفُ الدِّينِ العُقَيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **يَقُولُ**: «الصَّوَابُ عِندِي فِي هَذَا مَا فَعَلَهُ مَشَايِخُنَا -رَحِمَهُمُ اللهِ-؛ فَإِنَّهُم كَانُوا يَختَارُونَ لِلمُبتَدِئِ صِغَارَاتِ المَبسُوطَاتِ؛ لِأَنَّهُ أَقرَبُ إِلَىٰ الفَهمِ وَالضَّبطِ، وَأَبعَدُ عَنِ المَلَالَةِ، وَأَكثَرُ وقُوعًا بَينَ النَّاسِ».

وَيَنبَغِي: أَن يُعَلِّقَ السَّبْقُ(٢) بَعدَ الضَّبطِ وَالإِعَادَةِ؛ فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا.

وَلَا يَكتُبُ المُتَعَلِّمُ شَيئًا لَا يَفهَمُهُ؛ فَإِنَّهُ يُورِثُ كَلَالَةَ الطَّبعِ، ويُذهِبُ الفِطْنَةَ، وَيُضَيِّعُ أَوقَاتَهُ.

وَيَنبَغِي: أَن يَجتَهِدَ فِي الفَهمِ مِنَ الأُستَاذِ؛ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفكُّرِ وَكَثرَةِ التَّكرَارِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَلَّ السَّبقُ وَكَثُرَ التَّكرَارُ وَالتَّأَمُّلُ؛ يُدرِكُ وَيَفهَمُ.

قِيلَ: حِفظُ حَرفَينِ خَيرٌ مِن سَمَاعِ وِقرَيْنِ، وَفَهمُ حَرفَينِ خَيرٌ مِن حِفظِ وِقرَيْنِ(٣).

وَإِذَا تَهَاوَنَ فِي الفَهمِ وَلَم يَجتَهِدْ مَرَّةً أَو مَرَّتَينِ يَعتَادُ ذَلِكَ فَلَا يَفهَمُ الكَلَامَ اليَسِيرَ، فَيَنبَغِي أَلَّا يَتَهَاوَنَ فِي الفَهمِ بَل يَجتَهِدُ وَيَدعُو اللهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيهِ؛ فَإِنَّهُ يُجِيبُ مَن دَعَاهُ، وَلَا يُخَيِّبُ مَن رَجَاهُ.

وَأَنشَدَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ قِوَامُ الدِّينِ، حَمَّادُ بنُ إِبرَاهِيمَ بنِ إِسمَاعِيلَ الصَّفَّارِيُّ الأَنصَارِيُّ -رَحِمَهُمُ اللهِ-، إِملَاءً لِلقَاضِي الخَلِيلِ بنِ أَحمَدَ السِّجزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ:

اخــدُمِ العِلــمَ خِدمَــةَ المُــستَفِيدِ وَأَدِمِ الدَّرسَ بِفِعـــلِ الحَمِيـــدِ

---

(١) أي: تعلم قليلًا وكرر ما تعلمته كثيرًا.

(٢) أي: خلاصة الدرس.

(٣) مثنىٰ (وِقر) بكسر الواو، والجمع أوقار، وهو: الحمل الثقيل.

وَإِذَا مَـا حَفِظـتَ شَـيئًا أَعِـدهُ ثُـمَّ أَكِّـدهُ غَايَـةَ التَّأكِيـدِ
ثُـمَّ عَلِّقـهُ تَعُـودُ إِلَيـهِ وَإِلَى دَرسِـهِ عَلَى التَّأبِيـدِ
فَـإِذَا مَـا أَمِنـتَ مِنـهُ فَوَاتًـا فَانتَـدِبْ بَعـدَهُ بِـشَيْءٍ جَدِيـدِ
مَـعَ تَكـرَارِ مَـا تَقَـدَّمَ مِنـهُ وَاقتِنَـاءٍ لِـشَأنِ هَـذَا المَزِيـدِ
ذَاكِـرًا النَّـاس بِـالعُلُومِ لِتَحيَـا لَا تَكُـنْ مِـن أُولِي النُّـهَى بِبَعِيـدِ
إِنْ كَتَمتَ العُلُومَ أُلجِمتَ فِي القِيَامَةِ وَتَلَهَّبـتَ فِي العَـذَابِ الـشَّدِيدِ

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِن المُذَاكَرَةِ، وَالمُنَاظَرَةِ، وَالمُطَارَحَةِ، فَيَنبَغِي أَن يَكُونَ بِالإِنصَافِ وَالتَّأَنِّي وَالتَّأَمُّلِ.

وَيَحتَرِزُ عَنِ الشَّغبِ وَالغَضَبِ؛ فَإِنَّ المُنَاظَرَةَ وَالمُذَاكَرَةَ مُشَاوَرَةٌ، وَالمُشَاوَرَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِاستِخرَاجِ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَحصُلُ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّأَنِّي وَالإِنصَافِ، وَلَا يَحصُلُ ذَلِكَ بِالغَضَبِ وَالشَّغبِ.

فَإِن كَانَت نِيَّتُهُ إِلزَامَ الخَصمِ وَقَهرَهُ، فَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَحِلُّ ذَلِكَ لِإِظهَارِ الحَقِّ. وَأَمَّا إِذَا أَرَادَ التَّموِيهَ وَالحِيلَةَ فِيهَا فَلَا يَجُوزُ، إِلَّا إِذَا كَانَ الخَصمُ مُتعَنِّتًا، لَا طَالِبًا لِلحَقِّ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بنِ يَحيَىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ **إِذَا تَوجَّه عَلَيهِ الإِشكَالُ وَلَم يَحضُرْهُ الجَوَابُ يَقُولُ:** «مَا أَلزَمتُهُ مِنَ السُّؤَالِ لَازِمٌ، وَأَنَا فِيهِ نَاظِرٌ، وَفَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيمٌ».

وَفَائِدَةُ المُطَارَحَةِ وَالمُنَاظَرَةِ أَقوَىٰ مِن فَائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكرَارِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَكرَارًا وَزِيَادَةً.

وَقِيلَ: مُطَارَحَةُ سَاعَةٍ خَيرٌ مِن تَكرَارِ شَهرٍ.

وَلَكِن إِذَا كَانَتِ المُنَاظَرَةُ مَعَ مُنصِفٍ سَلِيمِ الطَّبِيعَةِ.

وَإِيَّاكَ وَالمُذَاكَرَةَ مَعَ مُتَعنِّتٍ غَيرِ مُستَقِيمِ الطَّبعِ؛ فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ مُتَسرِقَّةٌ مُتَغَيِّرَةٌ،

وَالأَخلَاق مُتعَدِّيَةٌ، وَالمُجَاورَة مُؤثِّرَةٌ.

وَفِي الشِّعْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ الخَلِيلُ بنُ أَحمَدَ -رَحِمَهُمَا اللهُ- فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ.

قِيلَ: العِلمُ مِن شَرطِهِ لِمَن خَدَمَهُ أَن يَجعَلَ النَّاسَ كُلَّهُم خَدَمَهُ.

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَن يَكُونَ مَتَأَمِّلًا فِي جَمِيعِ الأَوقَاتِ فِي دَقَائِقِ العُلُومِ وَيَعتَادَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّمَا يُدرِكُ الدَّقَائِقَ بِالتَّأَمُّلِ، وَلِهَذَا قِيلَ: تَأَمَّلْ تُدرِكْ.

وَلَا بُدَّ مِنَ التَّأَمُّلِ قَبلَ الكَلَامِ حَتَّىٰ يَكُونَ صَوَابًا، فَإِنَّ الكَلَامَ كَالسَّهمِ، فَلَا بُدَّ مِن تَقوِيمِهِ بِالتَّأَمُّلِ قَبلَ الكَلَامِ حَتَّىٰ يَكُونَ مُصِيبًا.

وَقَالَ فِي أُصُولِ الفِقهِ: هَذَا أَصلٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ أَن يَكُونَ كَلَامُ الفَقِيهِ المُنَاظِرِ بَالتَّأَمُّلِ.

قِيلَ: رَأسُ العَقلِ أَن يَكُونَ الكَلَامُ بِالتَّثَبُّتِ وَالتَّأَمُّلِ.

قَالَ القَائِلُ:

أُوصِيكَ فِي نَظمِ الكَلَامِ بِخَمسَةٍ ... إِنْ كُنتَ لِلمُوصِي الشَّفِيقِ مُطِيعَا
لَا تُغفِلَن سَبَبَ الكَلَامِ وَوَقتِهِ ... وَالكَيفَ وَالكَمَّ وَالمَكَانَ جَمِيعَا

وَيَكُونُ مُستَفِيدًا فِي جَمِيعِ الأَحوَالِ وَالأَوقَاتِ، وَمِن جَمِيعِ الأَشخَاصِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الحِكمَةُ ضَالَّةُ المُؤمِنِ أَينَمَا وَجَدَهَا أَخَذَهَا**»(١).

وَقِيلَ: خُذْ مَا صَفَا لَكَ، وَدَعْ مَا كَدَرَ.

وَسَمِعتُ الشَّيخَ الإِمَامَ الأَجَلَّ الأُستَاذَ فَخرَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ **يَقُولُ**: «كَانَت جَارِيَةُ أَبِي يُوسُفَ أَمَانَةً عِندَ مُحمَّدٍ -رَحِمَهُمَا اللهُ- فَقَالَ لَهَا: هَل تَحفَظِينَ فِي هَذَا الوَقتِ مِن أَبِي يُوسُفَ فِي الفِقهِ شَيئًا؟ فَقَالَت: لَا، إِلَّا أَنَّهَا كَانَت تُكَرِّرُ وَتَقُولُ: سَهْمُ الدَّورِ سَاقِطٌ. فحفِظَ ذَلِكَ مِنهَا، وَكَانَت تِلكَ المَسأَلَةُ مُشْكِلَةً عَلَىٰ مُحَمَّدٍ فَارتَفَعَ إِشكَالُهُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر «ضعيف الجامع» (٤٣٠٢).

فَعلَمَ أَنَّ الاستِفَادَةَ مُمكِنَةٌ مِن كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ **حِينَ قِيلَ لَهُ**: بِمَ أَدرَكتَ العِلمَ؟ قَالَ: مَا استَنكَفتُ مِن الاستِفَادَةِ مِن كُلِّ أَحَدٍ، وَمَا بَخِلتُ بِالفَائِدَةِ.

وَقِيلَ لِابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: بِمَ أَدرَكتَ العِلمَ؟ قَالَ: بِلِسَانٍ سَئُولٍ، وَقَلبٍ عَقُولٍ.

وَإِنَّمَا سُمِّي طَالِبُ العِلمِ: «مَا تَقُولُ»؛ لِكَثرَةِ مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ: «مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ المَسأَلَةِ؟».

وَإِنَّمَا تَفَقَّه أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِكَثرَةِ المُطَارَحَةِ وَالمُذَاكَرَةِ فِي دُكَّانِهِ حِينَ كَانَ بَزَّازًا(١)؛ فَبِهَذَا يُعلَمُ أَنَّ تَحصِيلَ العِلمِ وَالفِقهِ يَجتَمِعُ مَعَ الكَسبِ.

وَكَانَ أَبُو حَفصٍ الكَبِيرُ يَكتَسِبُ وَيُكَرِّرُ.

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِنَ الكَسبِ لِنَفَقَةِ عِيَالِهِ وَغَيرِهِ، فَليَكتَسِبْ وَليُكَرِّرْ وَليُذَاكِرْ وَلَا يَكسَلْ.

وَلَيسَ لِصَحِيحِ العَقلِ وَالبَدَنِ عُذرٌ فِي تَركِ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُكُونُ أَفقَرَ مِن أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَم يَمنَعْهُ ذَلِكَ مِنَ التَّفَقُّهِ. فَمَن كَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَنِعْمَ المَالُ الصَالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ.

قِيلَ لِعَالِمٍ: بِمَ أَدرَكتَ العِلمَ؟ قَالَ: بِأَبٍ غَنِيٍّ؛ لِأَنَّهُ كَان يَصطَنِعُ بِهِ أَهلَ العِلمِ وَالفَضلِ؛ فَإِنَّهُ سَبَبُ زِيَادَةِ العِلمِ؛ لِأَنَّهُ شُكرٌ عَلَىٰ نِعمَةِ العَقلِ وَالعِلمِ.

قِيلَ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا أَدرَكتُ العِلمَ بِالحَمدِ وَالشُّكرِ، فَكُلَّمَا فَهِمتُ وَوَقَفتُ عَلَىٰ فِقهٍ وَحِكمَةٍ، قُلتُ: الحَمدُ للهِ تَعَالَىٰ، فَازدَادَ عِلمِي.

وَهَكَذَا يَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ أَن يَشتَغِلَ بِالشُّكرِ بِاللِّسَانِ وَالجِنَانِ وَالأَركَانِ وَالمَالِ،

---

(١) بائع الثياب.

وَيَرَىٰ الفَهمَ وَالعِلمَ وَالتَّوفِيقَ إِليهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَطلُبَ الهِدَايَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِالدُّعَاءِ لَهُ وَالتَّضَرُّعِ إِليهِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هَادِي مِن استَهدَىٰ.

فَأَهلُ الحَقِّ -وَهُم أَهلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ- طَلَبُوا الحَقَّ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، الحَقَّ المُبِينَ الهَادِيَ العَاصِمَ؛ فَهَدَاهُمُ اللهُ وَعَصَمَهُم عَنِ الضَّلَالَةِ.

وَأَهلُ الضَّلَالَةِ أُعجِبُوا بِرَأيِهِم وَعَقلِهِم وَطَلَبُوا الحَقَّ مِنَ المَخلُوقِ العَاجِزِ وَهُو العَقلُ؛ لِأَنَّ العَقلَ لَا يُدرِكُ جَمِيعَ الأَشيَاءِ، كَالبَصِيرِ فَإِنَّهُ لَا يُبصِرُ جَمِيعَ الأَشيَاءِ، فَحُجِبُوا وَعَجَزُوا، وَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الغَافِلُ مَن عَمِلَ بِغَفلَتِهِ، وَالعَاقِلُ مَن عَمِلَ بِعَقلِهِ**»(١).

فَالعَمَلُ بِالعَقلِ أَوَّلًا: أَن يَعرِفَ عَجزَ نَفسِهِ عَن مَعرِفَةِ الحَقِّ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ**»(٢).

فَإِذَا عَرَفَ عَجزَ نَفسِهِ عَرَفَ قُدرَةَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا يَعتَمِدُ عَلَىٰ نَفسِهِ وَعَقلِهِ بَل يَعتَمِدُ وَيَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَطلُبُ الحَقَّ مِنهُ. وَمَن يَتَوَكَّل عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسبُهُ وَيَهدِيهِ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ.

وَمَن كَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَلَا يَبخَلْ، وَيَنبَغِي أَن يَتَعَوَّذَ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنَ البُخلِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ دَاءٍ أَدوَأُ مِنَ البُخلِ**»(٣).

وَكَانَ أَبُو الشَّيخِ الإِمَامِ الأَجَلِّ شَمسِ الأَئِمَّةِ الحُلْوَانِيِّ فَقِيرًا يَبِيعُ الحَلوَاءَ، وَكَانَ يُعطِي الفُقَهَاءَ مِنَ الحَلوَاءِ وَيَقُولُ: ادعُوا لِابنِي. فَبِبَرَكَةِ جُودِهِ وَاعتِقَادِهِ وَشَفَقَتِهِ وَتَضَرُّعِهِ

(١) لم أجده.

(٢) انظر «الضعيفة» (٦٦)، قال: لا أصل له. قال في «المقاصد» للحافظ السخاوي (ص ١٩٨) : قال أبو المظفر بن السمعاني: لا يعرف مرفوعا وإنما يحكي عن يحيىٰ بن معاذ الرازي من قوله وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهي من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

بِاللهِ تَعَالَىٰ نَالَ ابنُهُ مَا نَالَ.

وَيَشتَرِي بِالمَالِ الكُتُبَ وَيَسْتَكْتِبُ؛ فَيَكُونُ عَونًا عَلَىٰ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ.

وَقَد كَانَ لِمُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ مَالٌ كَثِيرٌ حَتَّىٰ كَانَ لَهُ ثَلثَمِائَةٍ مِنَ الوكَلَاءِ عَلَىٰ مَالِهِ، فَأَنفَقَهُ كُلَّهُ فِي العِلمِ وَالفِقْهِ، وَلَم يَبقَ لَهُ ثَوْبٌ نَفِيسٌ، فَرَآهُ أَبُو يُوسُفَ فِي ثَوْبٍ خَلِقٍ فَأَرسَلَ إِلَيهِ ثِيَابًا نَفِيسَةً فَلَم يَقبَلهَا، فَقَالَ: عُجِّلَ لَكُم، وَأُجِّلَ لَنَا. وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا لَم يَقبَلهَا -وَإِن كَانَ قَبُولُ الهَدِيَّةِ سُنَّةً-؛ لِمَا رَأَىٰ فِي ذَٰلِكَ مَذَلَّةً لِنَفسِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيسَ لِلمُؤمِنِ أَن يُذِلَّ نَفسَهُ**»(١).

وَحُكِيَ: أَنَّ الشَّيخَ الإِمَامَ فَخرَ الإِسلَامِ الأَرسَابندِيَّ رَحِمَهُ اللهُ جَمَعَ قُشُورَ البِطِّيخِ المُلقَاةَ فِي مَكَانٍ خَالٍ فَأَكَلَهَا، فَرَأَتهُ جَارِيَةٌ فَأَخبَرَت بِذَلِكَ مَوْلَاهَا، فَاتَّخَذَ لَهُ دَعوَةً فَدَعَاهُ إِلَيهَا، فَلَم يَقبَلْ لِهَذَا.

وَهَكَذَا يَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ أَن يَكُونَ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا يَطمَعُ فِي أَموَالِ النَّاسِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ؛ فَإِنَّهُ فَقرٌ حَاضِرٌ**»(٢).

وَلَا يَبخَلُ بِمَا عِندَهُ مِنَ المَالِ؛ بَل يُنفِقُ عَلَىٰ نَفسِهِ وَعَلَىٰ غَيرِهِ.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيهِ السَّلَامُ: «**النَّاسُ كُلُّهُم فِي الفَقرِ مَخَافَةَ الفَقرِ**»(٣).

وَكَانَ النَّاسُ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الحِرفَةَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ العِلمَ؛ حَتَّىٰ لَا يَطمَعُوا فِي أَموَالِ النَّاسِ.

وَفِي الحِكمَةِ: «مَن استَغنَىٰ بِمَالِ النَّاسِ فَقَدِ افتَقَرَ».

وَالعَالِمُ إِذَا كَانَ طَمَّاعًا لَا يَبقَىٰ لَهُ حُرمَةُ العِلمِ، وَلَا يَقُولُ بِالحَقِّ، وَلِهَذَا كَانَ يَتَعَوَّذُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه، انظر «الصحيحة» (٦١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٤٩).

(٣) لم أجده.

أسود ٤٢
٤٢ أحمر

صَاحِبُ الشَّرعِ ﷺ وَيَقُولُ: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِن طَمَعٍ يُدنِي إِلَى طَبْعٍ**»(١).

وَيَنبَغِي لِلمُؤمِنِ: أَلَّا يَرجُوَ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعالَىٰ، وَلَا يَخَافَ إِلَّا مِنهِ، وَيَظهَرُ ذَلِكَ بِمُجَاوَزةِ حَدِّ الشَّرعِ وَعَدَمِهَا.

فَمَن عَصَىٰ اللهَ تَعالَىٰ خَوفًا مِنَ المَخلُوقِ؛ فَقَد خَافَ غَيرَ اللهِ تَعالَىٰ، فَإِذَا لَم يَعصِ اللهَ تَعالَىٰ لِخَوفِ المَخلُوقِ وَرَاقَبَ حُدُودَ الشَّرعِ فَلَم يَخَفْ غَيرَ اللهِ تَعالَىٰ بَل خَافَ اللهَ تَعالَىٰ، وَكَذَا فِي جَانِبِ الرَّجَاءِ.

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَن يُعِدَّ ويُقَدِّر لِنَفسِهِ تَقدِيرًا فِي التَّكرَارِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَستَقِرُّ قَلبُهُ حَتَّىٰ يَبلُغَ ذَلِكَ المَبلَغَ.

وَيَنبَغِي: أَن يُكرِّرَ سَبقَ الأَمسِ خمسَ مَرَّاتٍ، وَسَبقَ اليَوْمِ الَّذِي قَبلَ الأَمسِ أَربَعَ مَرَّاتٍ، وَالسَّبقَ الَّذِي قَبلَهُ ثَلَاثًا، وَالَّذِي قَبلَهُ اثنَينِ، وَالَّذِي قَبلَهُ وَاحِدًا؛ فَهَذَا أَدعَىٰ إِلَىٰ التَّكرَارِ وَالحِفظِ.

وَيَنبَغِي: أَلَّا يَعتَادَ المَخَافَةَ فِي التَّكرَارِ؛ لِأَنَّ الدَّرسَ وَالتَّكرَارَ يَنبَغِي أَن يَكُونَ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَلَا يَجهَر جَهرًا يُجهِدُ نَفسَهُ؛ كَي لَا يَنقَطِعَ عِنَ التَّكرَارِ، فَخَيرُ الأُمُورِ أَوسَطُهَا.

وحُكِيَ: أَنَّ أَبَا يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ يُذَاكِرُ الفِقهَ مَعَ الفُقَهَاءِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَكَانَ صِهرُهُ عِندَهُ يَتَعَجَّبُ مِنهُ فِي أَمرِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: أَنَا أَعلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ مُنذُ خَمسَةِ أَيَّامٍ، وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهُ يُنَاظِرُ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ.

وَيَنبَغِي: أَلَّا يَكُونَ لِطَالِبِ العِلمِ فَترَةٌ(٢)؛ فَإِنَّهَا آفَةٌ.

وَكَانَ أُستَاذُنَا شَيخُ الإِسلَامِ بُرهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «إِنَّمَا غَلَبتُ شُرَكَائِي بِأَن لَم

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٢) (٢٢٠٧٤) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، انظر «الضعيفة» (١٣٧٣).

(٢) الانقطاع عن الدراسة لمدة معينة.

تَقَعْ لِي الفَترَةُ وَالِاضْطِرَابُ فِي التَّحصِيلِ».

وكَان يُحكَىٰ عَنِ الشَّيخِ الإِمَامِ عَلِيٍّ الأَسبِيجَابيِّ: أَنَّه وَقَعَ فِي زَمَانِ تَحصِيلِهِ وَتَعَلُّمِهِ فَترَةُ اثنَتِي عَشرَةَ سَنَةً بِانقِلَابِ المُلْك، وَخَرَجَ مَع شَرِيكِهِ فِي المُنَاظَرَةِ وَلَم يَترُكَا المُنَاظَرَة، وَكَانَا يَجلِسَانِ فِي المُنَاظَرَةِ كُلَّ يومٍ، وَلَم يَترُكَا الجُلُوسَ لِلمُنَاظَرةِ اثنَتَي عَشرَةَ سَنَةً، وكَانَ شَرِيكُهُ شَيخُ الإِسلَامِ لِلشَّافِعِيِّينَ -رَحِمَهُمَا اللهُ- وَكَانَ هُو شَافِعِيًّا.

وَكَانَ أُستَاذُنَا الشَّيخُ الإِمَامُ فَخرُ الدِّينِ قَاضِي خَان رَحِمَهُ اللهُ **يَقُولُ**: «يَنبَغِي لِلمُتَفَقِّهِ أَنْ يَحفَظَ نُسخَةً وَاحِدَةً مِن نُسَخِ الفِقْهِ، وَيُكَرِّرَ دَائِمًا؛ فَيَتيَسَّرُ لَهُ بَعدَ ذَلِكَ حِفظُ مَا يَسمَعُ مِنَ الفِقْهِ».

فَصلٌ
فِي التَّوَكُّل

ثُمَّ لَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِنَ التَّوَكُّلِ فِي طَلَبِ العِلمِ، وَلَا يَهتَمُّ لِأَمرِ الرِّزقِ، وَلَا يُشغِلُ قَلبَهُ بِذَلِك.

رَوَىٰ أَبُو جعفرٍ، رَوَىٰ أَبُو حَنيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ الحَسَنِ الزُّبَيدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَن تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللهِ؛ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ هَمَّهُ، وَرَزَقَهُ مِن حَيثُ لَا يَحتَسِبُ**»(١).

فَإِنَّ مَنِ اشتَغَلَ قَلبُهُ بِأَمرِ الرِّزقِ مِنَ القُوتِ وَالكُسوَةِ؛ فَقَلَّمَا يَتَفَرَّغُ لِتَحصِيلِ مَكَارِمِ الأَخلَاقِ وَمَعَالِي الأُمُورِ.

قِيلَ:

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرحَلْ لِبُغيَتِهَا ... وَاقعُدْ فَإِنَّكَ أَنتَ الطَاعِمُ الكَاسِي

قَالَ رَجُلٌ **لِمَنصُورٍ الحَلَّاجِ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوصِنِي. فَقَالَ: هِيَ نَفسُكَ، إِنْ لَم تَشغَلْهَا وَتَستَعْمِلْهَا شَغَلَتكَ نَفسُكَ».

فَيَنبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ: أَنْ يُشْغِلَ نَفسَهُ بِأَعمَالِ الخَيرِ حَتَّىٰ لَا تَشْتَغِلَ نَفسُهُ بِهَوَاهَا، وَلَا يَهتَمُّ العَاقِلُ لِأَمرِ الدُّنيَا؛ لِأَنَّ الهَمَّ وَالحُزنَ لَا يَرُدُّ المُصِيبَةَ، وَلَا يَنفَعُ؛ بَلْ يَضُرُّ بِالقَلبِ وَالعَقْلِ وَالبَدَنِ، وَيُخِلُّ بِأَعمَالِ الخَيرِ، وَيَهتَمُّ لِأَمرِ الآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ يَنفَعُ.

وَأَمَّا قَولُهُ عَلَيهِ السَّلَامُ: «**إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا هَمُّ المَعِيشَةِ**»(٢).

---

(١) «مسند أبي حنيفة» (١/ ٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (/ ٣٨) (١٠٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر «الضعيفة» (٩٢٤).

فَالمُرَادُ مِنهُ: قَدرُ هَمٍّ لَا يُخِلُّ بِأَعمَالِ الخَيرِ، وَلَا يُشْغِلُ القَلبَ شُغْلًا يُخِلُّ بِإِحضَارِ القَلبِ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ القَدرَ مِنَ الهَمِّ، وَالقَصدُ مِنْ أَعمَالِ الآخِرَةِ.

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ: مِن تَقلِيلِ العَلَائِقِ الدُّنيَوِيَّةِ بِقَدرِ الوُسْعِ، وَلِهَذَا اختَارُوا الغُربَةَ.

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ: مِن تَحمُّلِ النَّصَبِ وَالمَشَقَّةِ فِي سَفَرِ التَّعَلُّمِ، كَمَا قَالَ مُوسَىٰ عليه السلام فِي سَفَرِ التَّعَلُّمِ، وَلَم يُنْقَلْ عَنهُ فِي غَيرِهِ مِنَ الأَسفَارِ، قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢].

لِيُعلَم أَنَّ سَفَرَ التَّعَلُّمِ لَا يَخلُو عَنِ النَّصَبِ؛ لِأَنَّ طَلَبَ العِلمِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهُو أَفضَلُ مِنَ الغَزَاةِ عِندَ أَكثَرِ العُلَمَاءِ، وَالأَجرُ عَلَىٰ قَدرِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، فَمَن صَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَجَدَ لَذَّةً تَفُوقُ سَائِرَ لَذَّاتِ الدُّنيَا.

وَلِهَذَا كَانَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ -رَحِمَهُمَا اللهُ- إِذَا سَهَرَ اللَّيَالِيَ وَانحَلَّتْ لَهُ المُشكِلَاتُ يَقُولُ: «أَينَ أَبنَاءُ المُلُوكِ مِنْ هَذِهِ اللَّذَّاتِ؟».

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَلَّا يَشْتَغِلَ بِشَيءٍ آخَرَ غَيرِ العِلمِ، وَلَا يُعرِضْ عَنِ الفِقْهِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ رحمه الله: «مَن أَرَادَ أَنْ يَترُكَ عِلمَنَا هَذَا سَاعَةً فَلْيَتْرُكْهُ السَّاعَةَ، إِنَّ صِنَاعَتَنَا هَذِهِ مِنَ المَهدِ إِلَىٰ اللَّحْدِ».

وَدَخَلَ هُوَ وَإِبرَاهِيمُ بنُ الجَرَّاحِ، عَلَىٰ أَبِي يُوسُفَ رحمه الله يَعُودُهُ فِي مَرَضِ مَوتِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفسِهِ، فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَهُ: أَرمِي الجِمَارَ رَاكِبًا أَفضَلُ أَم رَاجِلًا؟ فَلَمْ يَعرِفِ الجَوَابَ، ثُمَّ أَجَابَ بِنَفسِهِ.

وَهَكَذَا يَنبَغِي لِلفَقِيهِ: أَنْ يَشتَغِلَ بِهِ فِي جَمِيعِ أَوقَاتِهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَجِدُ لَذَّةً عَظِيمَةً فِي ذَلِكَ.

وَقِيلَ: رُئِيَ مُحَمَّدٌ رحمه الله فِي المَنَامِ بَعدَ وَفَاتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: كَيفَ كُنتَ فِي حَالِ النَّزعِ؟

أسود ٤٦
٤٦ أحمر

فَقَالَ: كُنتُ مُتَأَمِّلًا فِي مَسأَلَةٍ مِن مَسَائِلِ المُكَاتَبِ[1]، فَلَمْ أَشعُرْ بِخُرُوجِ رُوحِي.

وَقِيلَ: إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ: شَغَلَتنِي مَسَائِلُ المُكَاتَبِ عَنِ الِاستِعدَادِ لِهَذَا اليَومِ.

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَواضُعًا.

(١) المُكاتب: هو العبد الذي تعاقد مع سيده أن يعتقه نظير مبلغ مؤجل يصير حرًّا بعد سداده.

أسود ٤٧
٤٧ أحمر

فَصلٌ
فِي وَقتِ التَّحصِيل

قِيلَ: وَقتُ التَّحصِيلِ مِنَ المَهدِ إِلَىٰ اللَّحْدِ.

دَخَلَ الحَسَنُ بنُ زِيَادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الفِقْهِ وَهُوَ ابنُ ثَمَانِينَ سَنَةً(١)، وَلَم يَبِتْ عَلَىٰ الفِرَاشِ أَربَعِينَ سَنَةً، فَأَفتَىٰ بَعدَ ذَلِكَ أَربَعِينَ سَنَةً.

وَأَفضَلُ أَوقَاتِهِ: شَرْخُ الشَّبَابِ(٢)، وَوَقتُ السَّحَرِ، وَمَا بَينَ العِشَاءَينِ.

وَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَن يَستَغرِقَ جَمِيعَ أَوقَاتِهِ، فَإِذَا مَلَّ مِن عِلمٍ يَشتَغِلُ بِعِلمٍ آخَرَ.

وَكَانَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا **إِذَا مَلَّ مِنَ الكَلَامِ يَقُولُ**: «هَاتُوا دِيوَانَ الشُّعَرَاءِ».

وَكَانَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَنَامُ اللَّيلَ، وَكَانَ يَضَعُ عِندَهُ دَفَاتِرَهُ، وَكَانَ إِذَا مَلَّ مِن نَوْعٍ يَنظُرُ فِي نَوعٍ آخَرَ، وَكَانَ يَضَعُ عِندَهُ كَأْسَ المَاءِ، وَيُزِيلُ نَومَهُ بِالمَاءِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ النَّومَ مِنَ الحَرَارَةِ.

(١) في طبعة أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي: في (ح): «ابن أربعين سنة»، ولعله الصواب.
(٢) أول الشباب.

فَصلٌ
فِي الشَّفقَةِ وَالنَّصِيحَةِ

وَيَنبَغِي أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ العِلمِ: مُشْفِقًا نَاصِحًا غَيرَ حَاسِدٍ، فَالحَسَدُ يَضُرُّهُ وَلَا يَنفَعُهُ.

وَكَانَ أُستَاذُنَا شَيخُ الإِسلَامِ بُرهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «قَالُوا: إِنَّ ابنَ المُعَلِّمِ يَكُونُ عَالِمًا؛ لِأَنَّ المُعلِّمَ يُرِيدُ أَن يَكُونَ تَلَامِذَتُهُ فِي القُرآنِ عُلمَاءَ، فَبِبَرَكَةِ اعتِقَادِهِ وَشَفَقَتِهِ يَكُونُ ابْنُهُ عَالِمًا».

وَكَانَ -يَرحَمُهُ اللهُ- يَحكِي: أَنَّ الصَّدرَ الأَجَلَّ بُرهَانَ الأَئِمَّةِ رَحِمَهُ اللهُ جَعَلَ وَقتَ السَّبقِ لِابْنَيهِ الصَّدرِ الشَّهِيدِ حُسَامِ الدِّينِ، وَالسَّعِيدِ نَاصِرِ الدِّينِ -رَحِمَهُمَا اللهُ- وَقتَ الضَّحوَةِ الكُبْرَىٰ بَعدَ جَمِيعِ الأَسبَاقِ، وَكَانَا يَقُولَانِ: إِنَّ طَبِيعَتَنَا تَكِلُّ وَتَمَلُّ فِي ذَلِكَ الوَقتِ. فَقَالَ أَبُوهُمَا -رَحِمَهُمُ اللهُ-: إِنَّ الغُربَاءَ وَأَولَادَ الكُبَرَاءِ يَأْتُونَنِي مِن أَطرَافِ الأَرضِ فَلَا بُدَّ مِن أَن أُقَدِّمَ أَسبَاقَهُم.

فَبِبَرَكَةِ شَفقَتِهِ فَاقَ ابنَاهُ عَلَىٰ أَكثَرِ فُقَهَاءِ الأَمصَارِ، وَأَهلِ الأَرضِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي الفِقْهِ.

وَيَنبَغِي: أَلَّا يُنَازِعَ أَحدًا وَلَا يُخَاصِمَهُم؛ لِأَنَّهُ يُضَيِّعُ أَوقَاتَهُ.

قِيلَ: المُحسِنُ سَيُجْزَىٰ بِإِحسَانِهِ، وَالمُسِيءُ سَيَكفِيهِ مَسَاوِيهِ.

أَنشَدَنِي الشَّيخُ الإِمَامُ الزَّاهِدُ العَارِفُ رُكنُ الإِسلَامِ مُحمَّدُ بنُ أَبِي بَكرٍ، المَعرُوفُ بِإِمَامِ خَوَاهِر زَادَه مُفتِي الفَرِيقَينِ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: أَنشَدَنِي سُلطَانُ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ يُوسُفُ الهَمدَانِيُّ:

دَعِ المَـرءَ لَا تَجـزِهِ عَلَى سُـوءِ فِعلِـهِ   سَـيَكفِيهِ مَـا فِيـهِ وَمَـا هُـوَ فَاعِلُـهْ

قِيلَ: مَن أَرَادَ أَن يُرغِمَ أَنفَ عَدُوِّهِ فَليُكَرِّرِ السَّبْقَ.

وَأُنشِدتُ:

إِذَا شِـئتَ أَن تَلـقَى عَـدُوَّكَ رَاغِمًـا   وَتَقتُلَـهُ غَمًّـا وَتَحرِقَـهُ هَمَّـا

فَـرُمِ العُـلَا وَازدَدْ مِـنَ العِلـمِ إِنَّـهُ   مَـنِ ازدَادَ عِلمًـا زَادَ حَاسِـدُهُ غَمَّـا

قِيلَ: عَلَيْكَ أَنْ تَشتَغِلَ بِمَصَالِحِ نَفسِكَ لَا بِقَهرِ عَدُوِّكَ، فَإِذَا أَقَمتَ مَصَالِحَ نَفسِكَ تَضَمَّنَ ذَلِكَ قَهرَ عَدُوِّكَ.

وَإِيَّاكَ وَالمُعَادَاةَ؛ فَإِنَّهَا تَفضَحُكَ وَتُضَيِّعُ أَوقَاتَكَ. وَعَلَيكَ بِالتَّحَمُّلِ لَاسِيَّمَا مِنَ السُّفَهَاءِ.

قَالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ عليه السلام: «احتَمِلُوا مِنَ السَّفِيهِ وَاحِدَةً كَي تَربَحُوا عَشرًا».

وَأُنشِدتُ لِبَعضِهِم:

بَلَـوْتُ النَّـاسَ قَرْنًـا بَعـدَ قَـرْنٍ   وَلَـم أَرَ غَـيرَ خَتَّـالٍ وَقَـالِي

وَلَـم أَرَ فِي الخُطُـوبِ أَشَـدَّ وَقعًـا   وَأَصـعَبَ مِـنْ مُعَـادَاةِ الرِّجَـالِ

وَذُقْـتُ مَـرَارَةَ الأَشـيَاءِ طُـرًّا   وَمَـا ذُقـتُ أَمَـرَّ مِـنَ الـسُّؤَالِ

وَإِيَّاكَ أَن تَظُنَّ بِالمُؤمِنِ سُوءًا؛ فَإِنَّه مَنشَأُ العَدَاوَةِ، وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ؛ لِقَولِهِ عليه السلام: «ظُنُّوا بِالمُؤمِنِينَ خَيرًا»(١).

وَإِنَّمَا يَنشَأُ ذَلِكَ مِن خُبثِ النِّيَّةِ وَسُوءِ السَّرِيرَةِ، كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ رحمه الله:

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما دلت آيات كثيرة علىٰ حسن الظن بالمسلمين، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا». أخرجه البخاري (٦٠٦٤) ومسلم (٢٥٦٣).

أسود ٥٠
٥٠ أحمر

إِذَا سَـاءَ فِعْـلُ المَـرءِ سَـاءَت ظُنُونُـهُ ... وَصَـــدَّقَ مَــا يَعْتَــادُهُ مِـــنْ تَـــوَهُّمِ

وَعَادَى مُحِبِّيـــــهِ بِقَــــوْلِ عِدَاتِــــهِ ... وَأَصْــبَحَ فِي لَيْــلٍ مِـنَ الــشَّكِّ مُظْلِـمِ

وَأُنشِدتُ لِبَعضِهِم:

تَــنَحَّ عَـــنِ القَبـــيحِ وَلَا تُـــرِدهُ ... وَمَـــن أَولَيتَـــهُ حَـــسَنًا فَـــزِدهُ

سَـــتُكْفَى مِـــنْ عَـــدُوِّكَ كُلَّ كَيْــدٍ ... إِذَا كَادَ العَـــــدُوُّ فَـــلَا تَكِـــــدهُ

وَأُنشِدتُ لِلشَّيخِ العَمِيدِ أَبِي الفَتحِ البُستِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذُو العَقْــلِ لَا يَــسلَمُ مِــن جَاهِــلٍ ... يَـــــسُوقُهُ ظُلمًـــــا وَإِعنَاتَـــــا

فَلْيَخْـــــتَرِ الـــــسِّلمَ عَلَى حَربِـــهِ ... وَليَلــــزَمِ الإِنــــصَاتَ إِنــــصَاتَا

فَصلٌ
فِي الاسْتِفَادَةِ وَاقتِبَاسِ الأدَبِ

وَيَنبَغِي: أَنْ يَكُونَ طَالِبُ العِلمِ مُستَفِيدًا فِي كُلِّ وَقتٍ؛ حَتَّىٰ يَحصُلَ لَهُ الفَضلُ.

وَطَرِيقُ الاسْتِفَادَةِ أَن يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقتٍ مِحبَرَةٌ حَتَّىٰ يَكْتُبَ مَا يَسمَعُ مِنَ الفَوَائِدِ العِلمِيَّةِ.

قِيلَ: مَا حُفِظَ فَرَّ، وَمَا كُتِبَ قَرَّ.

وَقِيلَ: العِلمُ مَا يُؤخَذُ مِن أَفوَاهِ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّهُم يَحفَظُونَ أَحسَنَ مَا يَسمَعُونَ، وَيَقُولُونَ أَحسَنَ مَا يَحفَظُونَ.

وَسَمِعتُ الشَّيخَ الإِمَامَ الأَجَلَّ الأَدِيبَ الأُستَاذَ رُكنَ الدِّينِ، المَعرُوفُ بِالأَدِيبِ المُختَارِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: قَالَ هِلَالُ بنُ يَسَارٍ رَحِمَهُ اللهُ: رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَصحَابِهِ شَيئًا مِنَ العِلمِ وَالحِكمَةِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعِدْ لِي مَا قُلتَ لَهُم؟ فَقَالَ لِي: «هَل مَعَكَ مِحبَرَةٌ؟» فَقُلتُ: مَا مَعِي مِحبَرَةٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا هِلَالُ، لَا تُفَارِقِ المِحبَرَةَ؛ لِأَنَّ الخَيرَ فِيهَا وَفِي أَهلِهَا إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ»(١).

وَوَصَّىٰ الصَّدرُ الشَّهِيدُ حُسَامُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ لِابنِهِ شَمسِ الدِّينِ: أَنْ يَحفَظَ كُلَّ يَومٍ شَيئًا يَسِيرًا مِنَ العِلمِ وَالحِكمَةِ فَإِنَّهُ يَسِيرٌ، وَعَن قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيرًا.

وَاشتَرَىٰ عِصَامُ بنُ يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ قَلَمًا بِدِينَارٍ لِيَكْتُبَ مَا يَسمَعُهُ فِي الحَالِ.

فَالعُمرُ قَصِيرٌ وَالعِلمُ كَثِيرٌ؛ فَيَنبَغِي أَلَّا يُضَيِّعَ طَالِبُ العِلمِ الأَوقَاتَ وَالسَّاعَاتِ، وَيَغتَنِمَ اللَّيَالِيَ وَالخَلَوَاتِ.

---

(١) لم أجده.

أسود ٥٢
٥٢ أحمر

قِيلَ: عَن يَحيَىٰ بنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ: اللَّيلُ طَوِيلٌ فَلَا تُقصِّرهُ بِمَنَامِكَ، وَالنَّهَارُ مُضِيءٌ فَلَا تُكَدِّرهُ بِآثَامِكَ.

وَيَنبَغِي: أَن يَغتَنِمَ الشُّيُوخَ وَيَستَفِيدَ مِنهُم، وَلَيسَ كُلَّ مَا فَاتَ يُدْرَكُ.

كَمَا قَالَ أُستَاذُنَا شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللهُ **فِي مَشيَخَتِهِ**: «كَمْ مِنْ شَيخٍ كَبِيرٍ أَدرَكتُهُ وَمَا استَخَيرتُهُ».

وَأَقُولُ عَلَىٰ ذَلِكَ الفَوتِ مُنشِئًا هَذَا البَيتَ:

لَهْفِي عَلَى فَوْتِ التَّلَاقِي لَهْفَى   مَا كُلُّ مَا فَاتَ وَيَفنَىٰ يُلقَى

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «إِذَا كُنتَ فِي أَمرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحسِنًا، وَكَفَىٰ بِالإِعرَاضِ عَن عِلمِ اللهِ حُزنًا وَخَسَارًا، وَاستَعِذْ بِاللهِ مِنهُ لَيلًا وَنَهَارًا».

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِن تَحَمُّلِ المَشَقَّةِ وَالمَذَلَّةِ فِي طَلَبِ العِلمِ، وَالتَّمَلُّقُ مَذمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِ العِلمِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّمَلُّقِ لِلأُستَاذِ وَالشُّرَكَاءِ وَغَيرِهِم لِلاستِفَادَةِ مِنهُم.

قِيلَ: العِلمُ عِزٌّ لَا ذُلَّ فِيهِ، لَا يُدرَكُ إِلَّا بِذُلٍّ لَا عِزَّ فِيهِ.

وَقَالَ القَائِلُ:

أَرَى لَكَ نَفسًا تَشتَهِي أَن تُعِزَّهَا   فَلَستَ تَنَالُ العِزَّ حَتَّى تُذِلَّهَا

❁❁❁

فَصلٌ
فِي الوَرَعِ فِي حَالَةِ التَّعَلُّمِ

رَوَىٰ بَعضُهُم حَدِيثًا فِي هَذَا البَابِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَن لَم يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّمِهِ؛ ابتَلَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشيَاءَ: إِمَّا أَن يُمِيتَهُ فِي شَبَابِهِ، أَو يُوقِعَهُ فِي الرَّسَاتِيقِ، أَو يَبتَلِيهِ بِخِدمَةِ السُّلطَانِ**»(١).

فَكُلَّمَا كَانَ طَالِبُ العِلمِ أَورَعَ كَانَ عِلمُهُ أَنفَعَ، وَالتَّعَلُّم لَهُ أَيسَرَ، وَفَوَائِدُهُ أَكثَرَ.

وَمِنَ الوَرَعِ: أَنْ يَتَحَرَّزَ عَنِ الشِّبَعِ، وَكَثرَةِ النَّومِ، وَكَثرَةِ الكَلَامِ فِيمَا لَا يَنفَعُ، وَأَنْ يَتَحَرَّزَ عَن أَكلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أَمكَنَ؛ لِأَنَّ طَعَامَ السُّوقِ أَقرَبُ إِلَىٰ النَّجَاسَةِ وَالخَبَاثَةِ، وَأَبعَدُ عَنْ ذِكرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَقرَبُ إِلَىٰ الغَفْلَةِ، وَلِأَنَّ أَبصَارَ الفُقَرَاءِ تَقَعُ عَلَيهِ وَلَا يَقدِرُونَ عَلَىٰ الشِّرَاءِ مِنهُ، فَيَتَأَذَّوْنَ بِذَلِكَ وَتَذهَبُ بَرَكَتُهُ.

وحُكِيَ أَنَّ الإِمَامَ الشَّيخَ الجَلِيلَ مُحَمَّدَ بنَ الفَضلِ رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ فِي حَالِ تَعَلُّمِهِ لَا يَأكُلُ مِن طَعَامِ السُّوقِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسكُنُ فِي الرَّسَاتِيقِ، وَيُهَيِّئُ طَعَامَهُ وَيَدخُلُ إِلَيهِ يَومَ الجُمُعَةِ، فَرَأَىٰ فِي بَيتِ ابنِهِ خُبزَ السُّوقِ يَومًا؛ فَلَم يُكَلِّمهُ سَاخِطًا عَلَىٰ ابنِهِ فَاعْتَذَرَ ابنُهُ، فَقَالَ: مَا اشْتَرَيتُهُ أَنَا وَلَم أَرضَ بِهِ وَلَكِن أَحضَرَهُ شَرِيكِي، فَقَالَ أَبُوهُ: لَو كُنتَ تَحتَاطُ وَتَتَوَرَّعُ عَن مِثلِهِ لَم يَجتَرِئ شَرِيكُكَ بِذَلِكَ».

وَهَكَذَا كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ؛ فَلِذَلِكَ وُفِّقُوا لِلعِلمِ وَالنَّشرِ حَتَّىٰ بَقِيَ اسمُهُم إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ.

وَوَصَّىٰ فَقِيهٌ مِن زُهَّادِ الفُقَهَاءِ طَالِبَ عِلمٍ، فَقَالَ لَهُ: «عَلَيكَ أَنْ تَتَحَرَّزَ عَنِ الغِيبَةِ،

---

(١) لم أجده.

وَعَنِ مُجَالَسَةِ المِكْثَارِ. وَقَالَ: إِنَّ مَنْ يُكثِرُ الكَلَامَ يَسرِقُ عُمرَكَ وَيُضَيِّعُ أَوقَاتَكَ».

وَمِنَ الوَرَعِ: أَنْ يَجتَنِبَ مِنْ أَهلِ الفَسَادِ وَالمَعَاصِي وَالتَّعطِيلِ؛ فَإِنَّ المُجَاوَرَةَ مُؤَثِّرَةٌ لَا مَحَالَةَ، وَأَن يَجلِسَ مُستَقبِلَ القِبلَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مُستَنًّا بِسُنَّةِ النَّبِيِّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وَيَغتَنِمَ دَعوَةَ أَهلِ الخَيرِ، وَيَحتَرِزَ عَنْ دَعوَةِ المَظْلُومِ.

وَحُكِيَ: أَنَّ رَجُلَينِ خَرَجَا فِي طَلَبِ العِلمِ لِلغُربَةِ وَكَانَا شَرِيكَينِ، فَرَجَعَا بَعدَ سِنِينَ إِلَىٰ بَلَدِهِمَا وَقَد فَقُهَ أَحَدُهُمَا وَلَم يَفقِهِ الآخَرُ، فَتَأَمَّل فُقَهَاءُ البَلدَةِ وَسَأَلُوا عَن حَالِهِمَا وَتَكرَارِهِمَا وَجُلُوسِهِمَا، فَأُخبِرُوا أَنَّ جُلُوسَ الَّذِي تَفَقَّهَ فِي التَّكرَارِ كَانَ يَجلِسُ مُستَقْبِلَ القِبلَةِ وَالمِصرِ، وَالآخَرُ كَانَ يَجلِسُ مُستَدبِرَ القِبلَةِ وَوَجهُهُ إِلَىٰ غَيرِ المِصرِ.

فَاتَّفَقَ العُلَمَاءُ وَالفُقَهَاءُ: أَنَّ الفَقِيهَ فَقُهَ بِبَرَكَةِ استِقبَالِ القِبلَةِ؛ إِذ هُوَ السُّنَّةُ فِي الجُلُوسِ إِلَّا عِندَ الضَّرُورَةِ، وَبِبَرَكَةِ دُعَاءِ المُسلِمِينَ فَإِنَّ المِصرَ لَا يَخلُو عَنِ العُبَّادِ وَأَهلِ الخَيرِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ عَابِدًا مِنَ العُبَّادِ دَعَا لَهُ فِي اللَّيلِ.

فَيَنبَغِي لِطَالِبِ العِلمِ: أَلَّا يَتَهَاوَنَ بِالآدَابِ وَالسُّنَنِ؛ فَإِنَّ مَن تَهَاوَنَ بِالآدَابِ حُرِمَ السُّنَنَ، وَمَن تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ حُرِمَ الفَرَائِضَ، وَمَن تَهَاوَنَ بِالفَرَائِضِ حُرِمَ الآخِرَةَ.

وَبَعضُهُم قَالُوا: هَذَا حَدِيثٌ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَيَنبَغِي: أَن يُكثِرَ الصَّلَاةَ، وَيُصَلِّي صَلَاةَ الخَاشِعِينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَونٌ لَهُ عَلَىٰ التَّحصِيلِ وَالتَّعَلُّمِ.

وَأُنشِدتُ لِلشَّيخِ الإِمَامِ الزَّاهِدِ الحَاجِّ نَجمِ الدِّينِ عُمرَ بنِ مُحمَّدٍ النَّسَفِيِّ:

كُنْ لِلأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي حَافِظًا ... وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَاظِبًا وَمُحَافِظَا
وَاطلُبْ عُلُومَ الشَّرعِ وَاجهَدْ وَاستَعِنْ ... بِالطَّيِّبَاتِ تَصِرْ فَقِيهًا حَافِظَا
وَاسأَلْ إِلَهَكَ حِفظَ حِفْظِكَ رَاغِبًا ... فِي فَضلِهِ فَاللهُ خَيرٌ حَافِظَا

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أسود ٥٥

٥٥ أحمر

أَطِيعُـــوا وَجِــدُّوا وَلَا تَكــسَلُوا ... وَأَنــــتُم إِلَى رَبِّكُــــم تُرجَعُـــونَ

وَلَا تَهجَعُــــوا فَخِيَــــارُ الـــوَرَى ... قَلِـــيلًا مِـــنَ اللَّيـــلِ مَـــا يَهجَعُـــونَ

وَيَنبَغِي: أَنْ يَستَصحِبَ دَفْتَرًا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِعَهُ.

وَقِيلَ: مَن لَم يَكُنْ لَهُ دَفتَرٌ فِي كُمِّهِ؛ لَم يُثْبِتِ الحِكمَةَ فِي قَلبِهِ.

وَيَنبَغِي: أَنْ يَكُونَ فِي الدَّفتَرِ بَيَاضٌ، وَيَستَصحِبَ المِحبَرَةَ؛ لِيَكْتُبَ مَا يَسْمَعُ.

وَقَد ذَكَرنَا حَدِيثَ هِلَالِ بنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَصلٌ
فِيمَا يُورِثُ الحِفظَ، وَفِيمَا يُورِثُ النِّسيَانَ

وَأقوَىٰ أَسبَابِ الحِفظِ: الجِدُّ، وَالمُوَاظَبَةُ، وَتَقلِيلُ الغِذَاءِ، وَصَلَاةُ اللَّيلِ، وَقِرَاءَةُ القُرآنِ مِن أَسبَابِ الحِفظِ.

قِيلَ: لَيسَ شَيْءٌ أَزيَدَ لِلحِفظِ مِن قِرَاءَةِ القُرآنِ نَظرًا، وَالقِرَاءَةُ نَظَرًا أَفضَلُ؛ لِقَولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أَعظَمُ أَعمَالِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ القُرآنِ نَظَرًا**»(١).

وَرَأَىٰ شَدَّادُ بنُ حَكِيمٍ بَعضَ إِخوَانِهِ فِي المَنَامِ، فَقَالَ: «أَيَّ شَيءٍ وَجدتَهُ أَنفَعَ؟ قَالَ: قِرَاءَةُ القُرآنِ نَظَرًا».

وَيَقُولُ عِندَ رَفعِ الكِتَابِ: بِاسمِ اللهِ، وَسُبحَانَ اللهِ، وَالحَمدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكبَرُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ العَزِيزِ العَلِيمِ، عَدَدَ كُلِّ حَرفٍ كُتِبَ وَيُكتَبُ أَبَدَ الآبِدِينَ وَدَهرَ الدَّاهِرِينَ.

وَيَقُولُ بَعدَ كُلِّ مَكتُوبَةٍ: آمَنتُ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ الحَقِّ المُبِينِ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَفَرتُ بِمَا سِوَاهُ.

وَيُكثِرُ الصَّلَاةَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِنَّ ذِكرَهُ رَحمَةٌ لِلعَالَمِينَ.

قِيلَ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفظِي ... فَأَوصَانِي إِلَى تَركِ المَعَاصِي

---

(١) روىٰ مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا» ورواه الحكيم الترمذي، وهو حديث ضعيف، انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢: ٢٨).

⊗ ٥٧ أحمر
⊗ أسود ٥٧

فَـإِنَّ العِلْـمَ فَـضلٌ مِـن إلَـهِي ... وَفَـضلُ اللهِ لَا يُعطَـى لِعَـاصِي

وَالسِّوَاكُ، وَشُربُ العَسَلِ، وَأَكلُ الكُنْدُرَةِ[١] مَعَ السُّكَّرِ، وَأَكلُ إِحدَىٰ وَعِشرِينَ زَبِيبَةً حَمرَاءَ كُلَّ يومٍ عَلَىٰ الرِّيقِ؛ يُورِثُ الحِفظَ وَيَشفِي مِن كَثِيرٍ مِنَ الأَمرَاضِ وَالأَسقَامِ، وَكُلُّ مَا يُقَلِّلُ البَلغَمَ وَالرَّطُوبَاتِ يَزِيدُ فِي الحِفظِ، وَكُلُّ مَا يَزِيدُ فِي البَلغَمِ يُورِثُ النِّسيَانَ.

وَأَمَّا مَا يُورِثُ النِّسيَانَ فَهُو: المَعَاصِي وَكَثرَةُ الذُّنُوبِ وَالهُمُومِ وَالأَحزَانِ فِي أُمُورِ الدُّنيَا، وَكَثرَةُ الأَشغَالِ وَالعَلَائِقِ.

وَقَد ذَكَرنَا أَنَّهُ لَا يَنبَغِي لِلعَاقِلِ أَن يَهتَمَّ لِأَمرِ الدُّنيَا؛ لِأَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنفَعُ.

وَهُمُومُ الدُّنيَا لَا تَخلُو عَنِ الظُّلْمَةِ فِي القَلبِ، وَهُمُومُ الآخِرَةِ لَا تَخلُو عَنِ النُّورِ فِي القَلبِ، وَيَظهَرُ أَثَرُهُ فِي الصَّلَاةِ.

وَهَمُّ الدُّنيَا يَمنَعُه مِنَ الخَيرِ، وَهُمُّ الآخِرَةِ يَحمِلَهُ عَلَيهِ.

وَالاشتِغَالُ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ الخُشُوعِ.

وَتَحصِيلُ العِلمِ يَنفِي الهَمَّ وَالحُزنَ؛ كَمَا قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ نَصرُ بنُ الحَسَنِ المِرغِينَانِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ رَحِمَهُ اللهُ:

اسـتَعِنْ نَـصرَ بـنَ الحَـسَنْ ... بِكُـلِّ عِلـمٍ يُختَـزَنْ
ذَاكَ الَّذِي يَـنفِي الحَـزَنْ ... وَمَـا سِـوَاهُ بَاطِـلٌ لَا يُـؤتَمَنْ

وَقَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ نَجمُ الدِّينِ عُمرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحمَدَ النَّسَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي أُمِّ وَلَدِهِ:

سَـلَامٌ عَلَى مَـن تَيَّمَتْـنِي بِظَرفِهَـا ... وَلُمعَـةِ خَـدَّيهَا وَلُمحَـةِ طَرْفِهَـا
سَـبَتْنِي وَأَصـبَتْنِي فَتَـاةٌ مَلِيحَـةٌ ... تَحَـيَّرَتِ الأَوهَـامُ فِي كُنْـهِ وَصـفِهَا

(١) الكُنْدُر: بالضم، قال ابن سيده: ضرب من العلك، الواحدة كُندُرَة. انظر: «تاج العروس» (١٤/ ٧١).

أسود ٥٨
٥٨ أحمر

فَقُلــتُ ذَرِيــنِي وَاعــذُرِينِي فَــإِنَّنِي ... شُــغِفتُ بِتَحــصِيلِ العُلُــومِ وَكَــشفِهَا

وَلِي فِي طِلابِ العِلـمِ وَالفَـضلِ وَالتُّـقَى ... غِـنًى عَــن غِنَــاءِ الغَانِيَــاتِ وَعَرْفِهَــا

وَأَمَّا سَبَبُ نِسيَانِ العِلمِ: فَأَكلُ الكُزبَرَةِ الرَّطبَةِ، وَالتُّفَّاحُ الحَامِضُ، وَالنَّظَرُ إِلَىٰ المَصلُوبِ، وَقِرَاءَةُ أَلوَاحِ القُبُورِ، وَالمُرورُ بَينَ قِطَارِ الجِمَالِ[١]، وَإِلقَاءِ القَمْلِ الحَيِّ عَلَىٰ الأَرضِ، وَالحِجَامَةُ عَلَىٰ نُقرَةِ القَفَا. فَتَجَنَّبُوهَا كُلَّهَا.

---

(١) هو المشي بين جملين مقطورين إلىٰ بعضهما.

فَصلٌ
فِيمَا يَجلِبُ الرِّزقَ وَمَا يَمنَعُ الرِّزقَ، وَمَا يَزِيدِ فِي العُمُرِ وَمَا يَنقُصُ

ثُمَّ لَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلمِ مِنَ القُوتِ، وَمَعرِفَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ، وَمَا يَزِيدُ فِي العُمرِ وَالصِّحَّةِ؛ لِيَتَفَرَّغَ لِطَلَبِ العِلمِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَّفُوا كُتُبًا، فَأَورَدتُ بَعضَهَا هُنَا عَلَىٰ سَبِيلِ الاختِصَارِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمرِ إِلَّا البِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بِالذَّنبِ يُصِيبُهُ**»(١).

ثَبَتَ بِهَذَا الحَدِيثِ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنبِ سَبَبُ حِرمَانِ الرِّزقِ، خُصُوصًا الكَذِبُ؛ فَإِنَّهُ يُورِثُ الفَقرَ، وَقَد وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ خَاصٌّ، وَكَذَا نَومُ الصُّبحَةِ يَمنَعُ الرِّزقِ، وَكَثرَةُ النَّومِ تُورِثُ الفَقرَ، وَفَقرَ العِلمِ أَيضًا.

قَالَ القَائِلُ:

سُرُورُ النَّـــاسِ فِي اللِّبَـــاسِ وَجَمــعُ العِلــمِ فِي تَــركِ النُّعَــاسِ

وَقَالَ:

أَلَــيسَ مِــنَ الخُــسرَانِ أَنَّ لَيَالِيًــا تَمُــرُّ بِـلَا نَفـعٍ وَتُنجَـدُ مِـن عُمْـرِي

وَقَالَ أَيضًا:

قُــمِ اللَّيــلَ يَــا هَــذَا لَعَلَّــكَ تَرشُــدُ إِلَى كَــمْ تَنَــامُ اللَّيــلَ وَالعُمــرُ يَنفَـدُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه، انظر «ضعيف الجامع» (٦٣٤٩).

وَالنَّوْمُ عُرْيَانًا، وَالبَوْلُ عُرْيَانًا، وَالأَكْلُ جُنُبًا، وَالأَكْلُ مُتَّكِئًا عَلَىٰ جَنبٍ، وَالتَّهَاوَنُ بِسُقَاطِ المَائِدَةِ، وَحَرقُ قِشرِ البَصَلِ وَالثُّومِ، وَكَنسُ البَيتِ بِالمِندِيلِ فِي اللَّيلِ، وَترَكُ القِمَامَةِ فِي البَيتِ، وَالمَشيُ قُدَّامَ المَشَايِخِ، وَنِدَاءُ الوَالِدَينِ بِاسمِهِمَا، وَالخِلَالُ بِكُلِّ خَشَبَةٍ[١]، وَغَسلُ اليَدَينِ بِالطِّينِ وَالتُّرَابِ، وَالجُلُوسُ عَلَىٰ العَتَبَةِ، وَالاتِّكَاءُ عَلَىٰ أَحَدِ زَوجَي البَابِ، وَالتَّوَضُّؤُ فِي المَبْرَزِ، وَخِيَاطَةُ الثَّوبِ عَلَىٰ بَدَنِهِ، وَتَجفِيفُ الوَجْهِ بِالثَّوبِ، وَترَكُ العَنكَبُوتِ فِي البَيتِ، وَالتَّهَاوُنُ بِالصَّلَاةِ، وَإِسرَاعُ الخُرُوجِ مِنَ المَسجِدِ بَعدَ صَلَاةِ الفَجرِ، وَالابتِكَارُ بِالذَّهَابِ إِلَىٰ السُّوقِ، وَالإِبطَاءُ فِي الرُّجُوعِ مِنهُ، وَشِرَاءُ كِسرَاتِ الخُبزِ مِنَ الفُقرَاءِ السُّؤَّالِ، وَدُعَاءُ الشَّرِّ عَلَىٰ الوَالِدِ، وَترَكُ تَخمِيرِ الأَوَانِي، وَإِطفَاءُ السِّرَاجِ بِالنَّفَسِ؛ كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الفَقرَ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالآثَارِ.

وَكَذَا الكِتَابَةُ بِالقَلَمِ المَعقُودِ، وَالامتِشَاطُ بِمِشطٍ مُنكَسِرٍ، وَترَكُ الدُّعَاءِ لِلوَالِدَينِ، وَالتَّعَمُّمُ قَاعِدًا، وَالتَّسَروُلُ قَائِمًا، وَالبُخلُ عَنِ الفُقَرَاءِ، وَالتَّقتِيرُ، وَالإِسرَافُ، وَالكَسَلُ وَالتَّوَانِي، وَالتَّهَاوُنُ فِي الأُمُورِ؛ كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الفَقرَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْتَنزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ**»[٢].

وَالبُكُورُ مُبَارَكٌ يَزِيدُ فِي جَمِيعِ النِّعَمِ خُصُوصًا فِي الرِّزقِ، وَحُسنُ الخَطِّ مِن مَفَاتِيحِ الرِّزقِ، وَبَسطُ الوَجهِ، وَطِيبُ الكَلَامِ يَزِيدُ فِي الرِّزقِ.

وَعَنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: «كَنسُ الفِنَاءِ وَغَسلُ الإِنَاءِ مَجلَبَةٌ لِلغِنَاءِ».

وَأَقوَىٰ الأَسبَابِ الجَاذِبَةِ لِلرِّزْقِ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالتَّعظِيمِ وَالخُشُوعِ، وَتَعدِيلُ الأَركَانِ، وَسَائِرِ وَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَآدَابِهَا، وَصَلَاةُ الضُّحَىٰ فِي ذَلِكَ مَعرُوفَةٌ مَشهُورَةٌ،

(١) أي: تخليل الأسنان.
(٢) رواه الديلمي (١/ ١/ ٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ، انظر «الضعيفة» (٢٧٥٤).

وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الوَاقِعَةِ خُصُوصًا فِي اللَّيلِ وَقتَ النَّومِ(١)، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ المُزَّمِّلِ، وَ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل:١]، وَ: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح:١]، وَحُضُورُ المَسجِدِ قَبلَ الأَذَانِ، وَالمُدَاوَمَةُ عَلَىٰ الطَّهَارَةِ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ الفَجرِ، وَالوِترُ فِي البَيتِ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الدُّنيَا بَعدَ الوِترِ، وَلَا يُكثِرَ مُجَالَسَةَ النِّسَاءِ إِلَّا عِندَ الحَاجَةِ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَغوٍ.

وَقِيلَ: «مَنِ اشتَغَلَ بِمَا لَا يَعنِيهِ؛ يَفُوتُهُ مَا يَعنِيهِ».

قَالَ بُزُرجَمهر: «إِذَا رَأَيتَ الرَّجُلَ يُكثِرُ الكَلَامَ؛ فَاستَيْقِنْ بِجُنُونِهِ».

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَمَّ العَقلُ؛ نَقَصَ الكَلَامُ».

وَقَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: اتَّفَقَ لِي فِي هَذَا المَعنَىٰ:

إِذَا تَمَّ عَقلُ المَرءِ قَلَّ كَلَامُهُ ... وَأَيقِن بِحُمْقِ المَرءِ إِن كَانَ مُكْثِرَا

وَمِمَّا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ:

أَنْ يَقُولَ كُلَّ يَومٍ بَعدَ انشِقَاقِ الفَجرِ إِلَىٰ وَقتِ الصَّلَاةِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «سُبحَانَ اللهِ العَظِيمُ وَبِحَمدِهِ، سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ، أَستَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيهِ».

وَأَنْ يَقُولَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ». كُلَّ يَومٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً، مِائَةَ مَرَّةٍ.

وَأَنْ يَقُولَ بَعدَ صَلَاةِ الفَجرِ كُلَّ يَومٍ: «الحَمدُ للهِ، وَسُبحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكبرُ». ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً. وَبَعدَ صَلَاةِ المَغرِبِ أَيضًا.

وَيَستَغفِرُ اللهَ تَعَالَىٰ سَبعِينَ مَرَّةً بَعدَ صَلَاةِ الفَجرِ، وَيُكثِرُ مِنْ قَولِهِ: «لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ»، وَالصَّلَاةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَيَقُولُ يَومَ الجُمُعَةِ سَبعِينَ مَرَّةً: «اللَّهُمَّ أَغنِنِي بِحَلَالِكَ عَن حَرَامِكَ، وَاكفِنِي

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١٧٨- من زوائده)، انظر «الضعيفة» (٢٨٩).

بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

وَيَقُولُ هَذَا الثَّنَاءَ كُلَّ يومٍ وَلَيلَةٍ: «أَنتَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ، أَنتَ اللهُ المَلِكُ القُدُّوسُ، أَنتَ اللهُ العَلِيمُ الكَرِيمُ، أَنتَ اللهُ خَالِقُ الخَيرِ وَالشَّرِّ، أَنتَ اللهُ خَالِقُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَنتَ اللهُ عَالِمُ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنتَ اللهُ عَالِمُ السِّرِّ وَأَخفَىٰ، أَنتَ اللهُ الكَبِيرُ المُتَعَالِ، أَنتَ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيكَ يَعُودُ كُلُّ شَيءٍ، أَنتَ اللهُ دَيَّانُ يومِ الدِّينِ، لَم تَزَلْ وَلَا تَزَالُ، أَنتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ أَحَدًا صَمَدًا، لَم يَلِدْ وَلَم يُولَدْ وَلَم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ، أَنتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤمِنُ المُهَيمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ، لَا إِلَه إِلَّا هُوَ، الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ، لَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَىٰ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ».

وَمِمَّا يَزِيدُ فِي العُمُرِ: البِرُّ، وَتَركُ الأَذَىٰ، وَتَوقِيرُ الشُّيُوخِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ.

وَأَن يَقُولَ حِينَ يُصبِحُ وَيُمسِي كُلَّ يومٍ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ: «سُبحَانَ اللهِ مِلْءَ المِيزَانِ، وَمُنتَهَىٰ العِلمِ، وَمَبلَغَ الرِّضَاءِ، وَزِنَةَ العَرشِ. وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِلْءَ المِيزَانِ، وَمُنتَهَى العِلمِ، وَمَبلَغَ الرِّضَاءِ، وَزِنَةَ العَرشِ. وَاللهُ أَكبَرُ مِلءَ المِيزَانِ، وَمُنتَهَىٰ العِلمِ، وَمَبلَغَ الرِّضَاءِ، وَزِنَةَ العَرشِ».

وَأَنْ يَتَحَرَّزَ عَن قَطعِ الأَشجَارِ الرَّطبَةِ إِلَّا عِندَ الضَّرُورَةِ، وَإِسبَاغُ الوُضُوءِ، وَالصَّلَاةُ بِالتَّعظِيمِ، وَقِرَاءَةُ القرَآنِ، وَالقِرَانِ بَينَ الحَجِّ وَالعُمرَةِ، وَحِفظُ الصِّحَّةِ.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيئًا مِنَ الطِّبِّ، وَيَتَبركُ بِالآثَارِ الوَارِدَةِ فِي الطِّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا الإِمَامُ أَبُو العَبَّاسِ المُستَغفِرِيُّ فِي كِتَابِهِ المُسَمَّىٰ بـ: «طَبِّ النَّبِيِّ»، رَسُول اللهِ ﷺ، يَجِدُهُ مَن يَطلُبُهُ، ثُمَّ كِتَابُ «المُتعَلِّم فِي طَرِيقِ التَّعَلُّمِ».

وَاللهُ أَعلَمُ بِالصَّوَابِ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ خَيرِ خَلقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجمَعِينَ.

الفهرس

مقدمة ٥

ترجمة للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٧

فَصلٌ فِي مَاهِيَّةِ العِلمِ، وَالفِقهِ، وَفَضلِهِ ١٠

فَصلٌ فِي النِّيةِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ ١٤

فَصلٌ فِي اختِيَارِ العِلمِ وَالأستَاذِ وَالشَّرِيك، وَالثَّبات عَلَيهِ ١٧

فَصلٌ فِي تَعظِيمِ العِلمِ وَأَهلِهِ ٢١

فَصلٌ فِي الجِدِّ، وَالمُواظَبَةِ، وَالهِمَّةِ ٢٧

فَصلٌ فِي بِدَايَةِ السَّبْقِ وَقَدرِهِ وَتَرتِيبِهِ ٣٥

فَصلٌ فِي التَّوَكُّلِ ٤٤

فَصلٌ فِي وَقتِ التَّحصِيلِ ٤٧

فَصلٌ فِي الشَّفقَةِ وَالنَّصِيحَةِ ٤٨

فَصلٌ فِي الاسْتِفَادَةِ وَاقتِبَاسِ الأدَبِ ٥١

فَصلٌ فِي الوَرَعِ فِي حَالَةِ التَّعَلُّمِ ٥٣

فَصلٌ فِيمَا يُورثُ الحِفظَ، وَفِيمَا يُورثُ النِّسيَانَ ٥٦

فَصلٌ فِيمَا يَجلِبُ الرِّزقَ وَمَا يَمنَعُ الرِّزق، وَمَا يَزِيدِ فِي العُمُرِ وَمَا يَنقُصُ ٥٩

الفهرس ٦٣